اقتباس: عبيد. ابراهيم. ي. (٢٠٢٣). النظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة تطبيقية على حالتي الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣، والحرب الروسية على أوكرانيا ٢٠٢٢. مجلة دراسات إقليمية. ١٧ (٥٧). ١٤١-١٩٢: https://doi.org/10.33899/regs.2023.179736

النظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة تطبيقية على حالتي الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣، والحرب الروسية على أوكرانيا ٢٠٢٢

ا.م.د.إبراهيم يوسف عبيد

كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة الأقصى/ غزة- فلسطين

Ibrahim281179@hotmail.com

الاستلام: ٢٠٢٣/١/٤ القبول: ٢٠٢٣/٣/٥ النشر: ٢٠٢٣/٧/١

مستخلص البحث

هدفت الدراسة إلى تقديم قراءة للنظرية الواقعية في العلاقات الدولية؛ من خلال دراسة الأصول النظرية والفكرية، والانتقادات التي وجهت لها، واسقاط تطبيقاتها على حالتي: الاحتلال الأمريكي للعراق في آذار/مارس ٢٠٠٣، والحرب الروسية على الأراضي الأوكرانية في شباط ٢٠٢٢، وتبرز أهمية الدراسة كونها تتناول موضوعاً مهماً تستعرض فيه نظرية مهمة من نظريات العلاقات الدولية التي لا تزال حاضرة وبقوة في السياسة الدولية، وهي النظرية الواقعية التي أكدت حضورها في تفسير وتحليل الأحداث والأزمات التي يشهدها العالم المعاصر. وقد جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث، الأول: الأصول الفكرية والفلسفية للنظرية الواقعية، والثاني: نقد النظرية الواقعية، والثالث: الواقعية في التطبيق والسلوك الخارجي حالتي: الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣، والحرب الروسية على أوكرانيا عام ٢٠٢٢. واعتمدت الدراسة على عدة مناهج في التأصيل والتحليل، وهي المنهج الوصفي والتحليلي، منهج نخبة القوة، والمنهج الاستشرافي، توصلت الدراسة إلى نتيجة رئيسة مفادها: أن السلوك الواقعي في العلاقات الدولية، لا يزال يحظى بحضور واضح في ممارسة السياسة الدولية، من خلال توظيف القوى العظمى والكبرى للقوة كهدف لتحقيق مصالحها الحيوية، دون الاكتراث بالقوانين والهيئات والمنظمات والمؤسسات الدولية الناظمة للعلاقات الدولية.

الكلمات المفتاحية: النظرية الواقعية؛ العلاقات الدولية؛ الولايات المتحدة؛ روسيا؛ العراق؛ أوكرانيا.

Available online at https://regs.mosuljournals.com/, © 2020, Regional Studies Center, University of Mosul. This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

Citation: Obaid, I. Y. (2023), Realistic Theory in International Relations: An Applied Study on the Two Cases of American Occupation of Iraq in 2003, and the Russian War on Ukraine in 2022. *Regional Studies Journal*, 17 (57). 141-192: https://doi.org/10.33899/regs.2023.179736

Realistic Theory in International Relations: An Applied Study on the two Cases of the American Occupation of Iraq in 2003, and the Russian war on Ukraine in 2022

Assist. Prof. Dr. Ibrahim Y. Obaid
Faculty of Arts and Humanities/ Al-Aqsa University/ Gaza- Palestine
Ibrahim281179@hotmail.com

Received: 4/1/2023 Accepted: 5/3/2023 Published: 1/7/2023

Abstract

The study aimed to provide a reading of realistic theory in international relations by studying the theoretical and intellectual origins, the criticisms that were directed at it, and projecting its applications on the two cases: the US occupation of Iraq in March 2003, and the Russian war on Ukrainian territory in February 2022. The importance of the study is highlighted by the fact that it deals with a key topic in which it reviews an paramount theory of international relations that is still strongly present in international politics which is the realistic theory that confirmed its presence in the interpretation and analysis of events and crises in the contemporary world. The study came in three sections; the first one is the intellectual and philosophical origins of the realistic theory. The second section is a critique of realistic theory. The third one is realism in the application and external behavior (the two cases: the US occupation of Iraq in 2003, and the Russian war on Ukraine in 2022. The study relied on several approaches in interpretation and analysis, namely the descriptive and analytical approach, the approach of the elite of power, and the forward-looking approach. The study concluded that: realistic behavior in international relations still enjoys a clear presence in the practice of international politics through the use of force by the great and major powers with the goal to achieve their vital interests without regard to international laws, bodies, organizations, and institutions governing international relations.

Keywords: Realistic theory; international relations; United States; Russia; Iraq; Ukraine.

Available online at https://regs.mosuljournals.com/, © 2020, Regional Studies Center, University of Mosul. This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

المقدمة:

تُشّكل الواقعية إحدى نظريات العلاقات الدولية، وهي كما وصفها "جوناثان هاسلام"، مجموعة من الأفكار التي تدور حول المقترحات المركزية الأربعة: "السياسة الجماعية، والأنانية، والفوضى، والقوة السياسية".

نشأت النظرية الواقعية من خلال أعمال "توماس هوبز" و"نيكولا ميكافيللي"، كنهج للعلاقات الدولية، وكان التأصيل الحقيقي للنظرية من خلال "هانز مورجنثاو" في كتابه الشهير "السياسة بين الأمم"، إذ أرسى فيه أهم مقولات ومفاهيم الواقعية التي تعني بتحليل السياسات الدولية والسلوك التطبيقي للدول.

وجاء التأكيد على أهمية ودور الواقعية ردَّ فعلٍ على تصاعد أفكار المدرسة المثالية التي برزت بشكلٍ ملحوظٍ كإحدى الاتجاهات الفكرية لتحليل السياسات الدولية عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى "الفترة التي شهدت تأسيس عصبة الأمم ١٩١٩م"، إذ ركّزت على بلورة المفاهيم الجديدة التي روّج لها "المثاليون" كمعايير لمدى توافق السياسات الخارجية للدول مع الأخلاق، والسلوك المثالي المفترض أن يمارسوه بما يتضمنه من أدوات لحل النزاعات، والحد من الصراعات، مثل: الوساطة، والمفاوضات، والتحكيم، والقضاء الدولي.

على الرغم من قدم الأصول والجذور الفكرية للواقعية، إلا أن اسهاماتها في تحليل العلاقات الدولية، تُعدُ حديثةَ النشأةِ نسبياً، إذ ترجع للفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥م، ففي هذه الفترة تحّول الاهتمام في دراسة العلاقات الدولية من إطارها القانوني إلى إطارها الواقعي بما تتضمنه من أبعادٍ متشابكةٍ، وما تعكسه من مصالح متناقضة، فضلاً عن استغلال وتوظيف موازين القوى لصالح كل طرف من أطراف الصراع.

اعتمدت الواقعية على مفاهيم خاصة لفهم تعقيدات السياسة الدولية، وتفسير السلوك الخارجي للدول، لعل أبرزها: (الدولة، القوة، المصلحة، الفوضى الدولية،

تهميش المنظمات الدولية، الاعتماد على الذات، ومعضلة الأمن والبقاء)، إذ أصبحت هذه المفاهيم بمثابة الركائز التي اعتمدتها كل المقاربات الواقعية فيما بعد.

مرَ تيار الواقعية بعدة تطورات، وشهد كثيراً من المراجعات؛ تبلور عنها عدة اتجاهات، كانت البداية بما عُرف بـ"الواقعية التقليدية–الكلاسيكية"، التي عُدلت لاحقاً وتحديداً في نهاية العقد السابع للقرن العشرين؛ نتيجةً للتحولات التي شهدها هيكل النظام الدولي، فأضيفت إليها أطروحات جديدة في إطار ما عرف بـ"الواقعية البنيوية"، وفي ثمانينيات القرن العشرين شهدت الواقعية تطوراً آخرَ في إطار ما عُرف بـ"الواقعية البُنيوية الجديدة" التي كشفت عن اتجاهين أحدهما "هجومي"، والآخر "دفاعي"، كما شهدت تلك الفترة اتجاهاً أخراً وصف بـ"الواقعية الكلاسيكية الجديدة"، وقد حاولت الواقعية على اختلاف مسمياتها وأطروحاتها تقديم تفسيرات مقبولة لما تشهده العلاقات الدولية من أحداث وتطورات طارئة وجارية.

تأسيساً على ما تقدم، تسعى الدراسة إلى تناول النظرية الواقعية في العلاقات الدولية؛ من حيث الأصول النظرية والفكرية، والنقد الموجه لها، والسلوك التطبيقي الخارجي.

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- التعرف على الأصول والمنطلقات الفكرية والفلسفية للنظرية الواقعية.
- استعراض وتفنيد الانتقادات التي وجهت للنظرية الواقعية.
- تحليل وتقييم السلوك التطبيقي للنظرية الواقعية: حالتي، الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، والحرب الروسية على أوكرانيا عام ٢٠٢٢م.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة كونها تتناول موضوعاً مهماً تستعرض فيه نظرية مهمة من نظريات العلاقات الدولية التي لا تزال حاضرة وبقوة في السياسة الدولية، وهي

النظرية الواقعية التي أكدت حضورها في تفسير وتحليل الأحداث والأزمات التي يشهدها العالم المعاصر، كما تأتي الأهمية للدراسة كونها تسلط الضوء على الجانب التطبيقي لهذه النظرية (سلوكاً وممارسةً) من خلال استعراض حالتي: الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، والحرب الروسية على أوكرانيا عام ٢٠٢٢م.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في التعرف على مرتكزات ومنطلقات النظرية الواقعية (فكراً وتطبيقاً)، التي لا تنفصل عن الجانب التطبيقي، والواقع الدولي الراهن، ومن ثَمَّ من الطبيعي أن تنعكس على التحولات التي تشهدها العلاقات الدولية، وعلى نظريات العلاقات الدولية الأخرى، وهو ما سعت الدراسة إلى تناوله من خلال تسليط الضوء على جذور الواقعية، ومراحل تطورها، والانتقادات الموجهة لها، والسلوك التطبيقي في إطار النظام الدولي، من خلال استعراض تطبيقاتها على حالتي: الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، والحرب الروسية على أوكرانيا عام ٢٠٢٢م؛ لذلك تطرح الدراسة التساؤل الرئيس:

ما ظروف نشأة وتطور النظرية الواقعية في العلاقات الدولية؟ وكيف تم ترجمتها على شكل سلوك خارجي؟

وينبثق عن التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية:

١. ما الأصول الفكرية والفلسفية للنظرية الواقعية؟

٢. ما الانتقادات التي وجهت للنظرية الواقعية؟

٣. كيف مارست الواقعية سلوكها التطبيقي على المستوى الخارجي؟

فرضية الدراسة:

تنطلق الدراسة من فرضية رئيسة، مفادها: "على الرغم من تعدد النظريات المُفسرة لظاهرة العلاقات الدولية، إلا أن النظرية الواقعية لا تزال تتمسك بفرضياتها

ومنطلقاتها الفكرية، وتصديها للانتقادات الموجهة لها، والتأكيد على أهميتها في تفسير وتحليل الأحداث والتطورات في النظام الدولي الراهن".

منهجية الدراسة:

سعت الدراسة إلى توظيف بعض المناهج التي في ضوئها تم تتبع الأصول الفكرية والتفسير العلمي للنظرية الواقعية، ما يسهم في فهمٍ أعمق وأوضح لهذه النظرية، وهذه المناهج هي:

١. المنهج الوصفي والتحليلي:

يستند هذا المنهج إلى تحديد مجموعة من الخصائص يتم فيها وصف طبيعتها، ونوعية العلاقة بين متغيراتها، إذ تم توظيف هذا المنهج في استعراض ووصف النظرية الواقعية في سياق تطور أصولها الفكرية والمفاهيمية، وكذلك استعراض وتحليل أبرز الانتقادات الموجهة لها من مفكري المدارس النظرية الأخرى في العلاقات الدولية، فضلاً عن استخدام هذا المنهج وتوظيفه في الجانب التطبيقي للدراسة.

٢. منهج نخبة القوة:

يطرح هذا المنهج الافتراض بأن صنع السياسة يتسم أساساً بعدم مشاركة المواطنين، وأن السياسات النابعة من هذه العملية تتصف بالتعبير عن مصالح هذه النخبة، ووفقاً لهذا النموذج تتركز السلطة في أيدي عدد محدود من النخبة السياسية الحاكمة ذات المصالح المشتركة، وعلى المستوى الداخلي تسعى هذه النخبة إلى التأثير في الرأي العام وتوجيهه، أما خارجياً، فإنها تتبع سياسات تعتمد على القوة وتؤثر سلباً في السلام العالمي (سرور، ٢٠١٠: ٥٦)، وعليه فإن الدارسة استخدمت هذا المنهج من خلال تفسير الدوافع الحقيقية للاحتلال الأمريكي للعراق المتمثلة في مصالح جماعات المحافظين الجدد[١]، والتيار المسيحي المتصهين في الولايات المتحدة، كما تم توظيفه في إبراز دور النخبة المتنفذة في روسيا المتمثلة في الرئيس بوتين، ومجلس الأمن القومي، والأوليغارشية الروسية المتنفذة.

٣. المنهج الاستشرافي:

هو عبارة عن اجتهادٍ علميٍّ وعمليٍّ مُنظمٍ يهدف إلى صياغة مجموعة من التوقُّعات المشروطة، "السِّيناريوهات" التي تشمل المعالم الرئيسة لظاهرة الدراسة، ويُنظر إليه على أنَّه جهدٌ استطلاعيٌّ بالأساس، يتبع لرؤى مستقبلية متباينة، تسعى لاكتشاف العلاقات المستقبلية المحتملة، أو المُمكنة بين النُّظم الكلِّية والفرعيَّة (جندلي، ٢٠١٧: ٣٠)؛ لذلك تحاول الدراسة من خلال توظيف هذا المنهج، استقراء مدى تأثير هذه النظرية على مستقبل النظام الدولي.

الدراسات السابقة:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من الأدبيات التي تناولت النظرية الواقعية في العلاقات الدولية (فكراً وتأصيلاً)، وهي على النحو الآتي:

١. دراسة، العرقان، عبد الرحيم حمد، والمحاسنة، خالد فوزي، (٢٠٢٢): بعنوان: "النظرية الواقعية في العلاقات الدولية وأثرها على السياسة الخارجية الأمريكية"، مجلة اتجاهات سياسية، العدد ٢.

هدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم النظرية الواقعية في السياسة الخارجية، وأهم التطورات التي مرت بها تجاه تحليل السياسة الدولية، والقوى الصاعدة في النظام العالمي، وأظهرت النظرية الواقعية، أن السياسة الخارجية الأمريكية ارتبطت كثيراً في مبادئها الهادفة إلى تحقيق، وإدامة الهيمنة على كثير من المناطق الحيوية في العالم، واعتمدت الدراسة في التحليل على منهج تحليل النظم، كمنهج رئيس، وما طرأ عليه من تعديلات في نماذجه التفسيرية الخاصة بعملية صنع واتخاذ قرارات السياسة الخارجية.

٢. دراسة، كاربوفيتش، جوليان كوارب، (٢٠٢١): بعنوان: "الواقعية في العلاقات الدولية"، ترجمة: ريم العمري، موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة حكمة.

تناولت الدراسة النظرية الواقعيّة، باعتبارها وجهة نظر للسياسة الدوليّة، مؤكدةً على جانبها التنافسي والصراعي الذي يتعارض مع المثاليّة والليبراليّة، التي تميل إلى التأكيد على التعاون، وأكدت أن الواقعيين يعدون الدول هي الفاعل الرئيس في الساحة الدوليّة، إذ تهتم هذه الدول بأمنها، وتعمل من أجل تحقيق مصالحها الوطنيّة الخاصة، وغالبًا ما يكون الجانب السلبي لتأكيد الواقعيين على القوة والمصلحة الذاتيّة، ويشكك الواقعيون بأهمية المعايير الأخلاقيّة في العلاقات الدولية بين الدول، كما أكدوا على أن السياسة الدوليّة، هي نطاق بلا عدالة، وتتميّز بالصراع القائم أو المحتمل بين الدول.

٣. دراسة، رابح، خليفي، (٢٠١٧): بعنوان: "الواقعية في العلاقات الدولية (دراسة نظرية)"، مجلة الفكر القانوني والسياسي، عدد تجريبي، المركز الديمقراطي العربي– برلين.

تناولت الدراسة النظرية الواقعية كأهم النظريات في حقل العلاقات الدولية، معتبرةً أن تحليلاتها لا تزال قائمةً حتى وقتنا الراهن، وسلطت الضوء على الظاهرة الدولية بالاعتماد على الوضع القائم بعيداً عن بناء فكري قيمي أخلاقي كتفسير نظري لتطور الأحداث الدولية، واعتبرتها مرحلة انعطاف فكري جديد لما سبق، من خلال دراسة وتحليل الأسباب والعوامل الكامنة وراء ذلك، كما اتخذت من الدولة وحدة تحليل لها، لفهم طبيعة التفاعلات الحاصلة داخل النظام الدولي، واستندت على مفهومي "المصلحة القومية والقوة" كثنائية معيارية لمسار التفاعل الحاصل لإدارة العلاقات الدولية، مما قد يدفع الدول للدخول في تحالفاتٍ تعزيزاً لبقاء مصلحتها القومية وزيادة قوتها وفرض إرادتها.

٤. دراسة، وهبان، أحمد محمد، (٢٠١٦): بعنوان: "النظرية الواقعية وتحليل السياسة الدولية من موجنثاو إلى ميرشايمر (دراسة تقويمية)، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، جامعة الإسكندرية، العدد ٢.

استعرضت الدراسة الفكر الواقعي في تحليل السياسة الدولية، وأبرز النظريات المتعلقة بهذا الفكر، وأهم التطورات التي شهدته خلال العقود الماضية، وتمحورت الدراسة حول تحليل وتقويم النظرية الواقعية عبر تاريخها بدءاً من إسهامات مؤسسها "هانز مورجنثاو"، وحتى أطروحات "جون ميرشايمر"، وذلك من خلال عرض التحديات والانتقادات التي واجهتها والاستجابات الفكرية والردود المُفندة التي قدمها الواقعيون، في إطار مساعيهم للتصدي لتلك الانتقادات، مع تسليط الضوء على مدى نجاح التيار الواقعي في الاحتفاظ بمكانته بين نظريات تحليل السياسة الدولية.

٥. دراسة:

Duncan ,Bell, (2017): Political Realism and International Relations, Journal: Apollo - University of Cambridge Repository.

تناولت الدراسة النظرية السياسية الواقعية والسياسة الدولية، واستعرضت كيف انبثقت الدراسات في هذا المجال في اتجاهين مختلفين، هما: العلاقات الدولية، والفلسفة السياسية، مستندةً على أن هناك حالةً مناسبةً لزيادة المشاركة بينهما من خلال تحديد أنواع مختلفة من الواقعية، وبينت الدراسة أن المصطلح يغطي مجموعة متنوعة من الأساليب المنهجية والسياسية على وجه الخصوص، وتناولت أيضاً، الفرق بين المقاربات الليبرالية والراديكالية، كما سلطت الضوء على أمثلة متنوعة للتنظير السياسي الدولي الواقعي، باعدِّه عملاً يتراوح بين محاولات إعادة كتابة مبادئ الفكر السياسي في القرن العشرين إلى الإسهامات في مناقشات العدالة الدولية.

٦. دراسة:

Guzzin, Stefano, (2017): Realist Theories and Practice, Danish Institute for International Studies (DIIS), Copenhagen, Denmark.

هدفت الدراسة لاستعراض النظرية الواقعية من خلال تناول الأصول النظرية والفكرية لهذه المدرسة، مستعرضةً آراء أبرز المنظرين لها، والسياق التاريخي والمعرفي لتطورها، كما قدمت مجموعة من التفسيرات التطبيقية على السلوك الواقعي للدول مستشهدةً بالثورة البلشفية في روسيا في الربع الأول من القرن العشرين، كما تناولت السلوك الأمريكي تجاه دول العالم في إطار المصلحة الوطنية، وحالة الإرباك والفوضى التي احدثتها الدول الكبرى التي سعت إلى الدخول في تحالفاتٍ جانبيةٍ جعلت العالم أكثر فوضويةً، عبر ممارساتها الخارجة عن الإجماع الدولي، والصفة القانونية.

التعقيب على الدراسات السابقة:

اشتملت الدراسات السابقة على كماً (نظرياً ومعرفياً) وافراً حول الأصول الفكرية للنظرية الواقعية، وكذلك والانتقادات التي وجهت لها من قبل منظري النظريات الأخرى، لكن دون اسقاطها على السلوك التطبيقي كدراسة حالة، وهذا ما يميز هذه الدراسة التي تسعى إلى تطبيق الفكر الواقعي في العلاقات الدولية من خلال اسقاط هذه النظرية على حالتي: الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، والحرب الروسية على أوكرانيا عام ٢٠٢٢م.

تقسيم الدراسة:

اشتملت الدراسة على ثلاثة مباحث، هي:

- المبحث الأول: الأصول الفكرية والفلسفية للنظرية الواقعية.
- المبحث الثاني: نقد النظرية الواقعية.
- المبحث الثالث: الواقعية في التطبيق والسلوك الخارجي (حالتي: الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣م، والحرب الروسية على أوكرانيا عام ٢٠٢٢م.

المبحث الأول

الأصول الفكرية والفلسفية للنظرية الواقعية

تعد النظرية الواقعية من أبرز وأهم النظريات التي سيطرت على السلوك السياسي الخارجي للدول الكبرى منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الوقت الرهن، ولا تزال تطبيقاتها حاضرةً في مفاعيل السلوك الخارجي للدول؛ لهذا فهي تأخذ حيزاً كبيراً من الاهتمام للعديد من المفكرين والمنظرين والباحثين في حقل العلاقات الدولية، ومن ثم، فإن اتجاهاتها الفكرية بمفاهيمها وسلوكها التطبيقي، جسدت الفكر السياسي الواقعي المعاصر، وطريقة التعامل مع النظام الدولي.

فغالبًا ما تم وصف الواقعية بأنها النظرية السائدة في مجال العلاقات الدولية؛ كونها تقوم على أسسٍ منهجيةٍ واضحةٍ ويسيرة، على نحو يجعلها توفّر للباحثين والمهتمين مسارات تحليلية تُسهل عليهم فهم مقتضيات السياسة الدولية ومجرياتها وتعقيداتها، وتمنحهم المداخل التي تُقدم أكثر الإجابات مباشرةً وأقلها تعقيداً لكيفية عمل النظام الدولي، وهذا ما جعل الواقعية حاضرةً على مدار النصف الثاني من القرن العشرين في كل النقاشات التي دارت في مجال العلاقات الدولية، جعلها إحدى أهم النظريات الدائمة، والمسيطرة، والمثيرة أيضاً للجدل في مجال دراسة السياسة الدولية (الجرباوي، وجبش، ٢٠١٩: ٣٠).

وعليه، تسعى الدراسة في هذا المبحث لاستعراض الجذور والأصول الفكرية للنظرية الواقعية التي امتدت لقرون عديدة تعاقب من خلالها فلاسفة، وقادة وسياسيون أسهموا في وضع الأسس الفكرية الأولى للنظرية الواقعية الأولى، وذلك على النحو الآتي:

أولاً- الأصول النظرية والفكرية للواقعية في العصور القديمة:

تعود جذور الفكر الواقعي إلى الحقبة اليونانية، وبالتحديد خلال الحروب البيلوبونيزية، التي تناولها "ثوسيديدس- Thucydides" "٤٧١-٤٠٠٠ ق.م"، حيث دار الحديث بين مجموعة من الأثينيين الأقوياء، وممثلين عن جزيرة "ميلوس- Milos"، (وهي جزيرة يونانية صغيرة)، وكان جوهر الحديث أو السرد حول أهمية القوة ومكانتها وضرورة تحقيقها، ويمكن عدِّ هذا الحديث بمثابة أحد النصوص المؤسسة والمُلهمة للفكر الواقعي المعاصر (رابح، ٢٠١٧: ٢٤).

وعليه، فإن خطابات "ثوسيديدس-Thucydides"وردت في حوارات "ميليان" وجوهرها أن: "الأقوياء يصنعون كل ما تُمكنهم القوة من صنعه" (زكريا، ١٩٩٩: ٢٨)، ولقد جاءت هذه الحوارات لتعكس حالة العداء الشديد بين أثينا واسبرطه خلال الفترة ٤٠٤-٤٣١ ق.م، والتسابق بين الطرفين في امتلاك أكبر قدر من القوة التي من شأنها أن تُسهم في تحقيق أهداف كل طرف، وفي هذا الشأن يقول ثوسيديدس: "إن ما جعل الحرب أمراً قائماً هو تنامي قوة أثينا، والخوف الذي أثارته إسبرطة". لذلك، فإن التوازن هو إحدى الوسائل لتجنب وقوع الحروب بين الدول (نجم، ٢٠١٩: ١٤٩). ويعتبر المؤرخ الإغريقي "فوتيرايوس" من أبرز من أسهم في تكوين الفكر والفلسفة الواقعية (حتى، ١٩٨٥: ٢٣).

أما المفكر الهندي "كوتيليا-Kautilya" ٣١٢-٢٩٦ ق.م الذي كان وزيراً في الإمبراطورية الماورية-Maueya، أعطى مفاهيم حول السلوك الدولي، وتضمنت أفكاره: حول كيفية البحث عن الوسائل، والطرائق الكفيلة لتعاظم نفوذ وقوة الدولة على الصعيدين الداخلي والخارجي، سواء بالسعي نحو توسيع أراضيها أم العمل على تدمير خصومها، أم اللجوء إلى إقامة تحالفات، أم تكديس أكبر كمية من السلاح... وغيرها (عبد الحي، ١٩٩٤: ٢٣)، وهنا ركّز "كوتيليا" على ضرورة تحقيق المصلحة القومية للدولة، وجعلها فوق كل اعتبار، فالغاية تبرر الوسيلة لديه، والقوة هي الركيزة الرئيسية الوحيدة لتحقيق المصلحة القومية (رابح، ٢٠١٧: ٢٤).

ثانياً- الأصول النظرية والفكرية للواقعية في العصور الوسطى:

شهدت العصور الوسطى تطوراتٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ واقتصاديةٍ وثقافيةٍ، صاحبها انزلاق للممالك والإمارات الأوروبية ودخولها في حالة من الصراع والحروب الداخلية شبه المستمرة، من أجل السيطرة، والتوسع، وبسط النفوذ؛ فضلاً عن الصراع بين السلطة الدينية والدنيوية، ما أدى إلى انعدام حالة الأمن والاستقرار. هذه الأوضاع قادت نحو التفكير الجدي للخروج من هذا المأزق؛ فتبلورت رؤى وأفكار حول الواقعية التي استمدت أفكارها من الفلاسفة، وخصوصاً الإيطاليين، مثل "نيكولا ميكافيللي-Nicola Machiavelli" ١٤٨٩-١٥٢٧م، الذي وضع أمن وسلامة الدولة في صلب اهتماماته. ففي كتابه: "الأمير- The Prince" بلور ميكافيللي مجمل أفكاره التي تدور حول: "السياسة، والحكم، والدولة"، وأرجع أمور تسييرها إلى الطبيعة البشرية للإنسان، مؤكداً على أن الحاكم يجب أن يتبنى في إدارة شؤون دولته معايير أخلاقية تختلف عن تلك التي يتبناها الإنسان العادي، من أجل ضمان أمن الدولة وبقائها، وتحدث ميكافيللي عن التشاؤم تجاه الطبيعة البشرية، والسلوك الإنساني (Pfaltzgraff & Dougherty, 1981: 93). فهو يُعد من المفكرين الأوائل الذين تكلموا عن فكرة تطويع مفهوم توازن القوى لدراسة النظام الأوروبي في عصر النهضة (العقابي، ٢٠١٠: ١٩٥).

ثالثاً- الأصول النظرية والفكرية للواقعية خلال العصور الحديثة والمعاصرة:

ويشير "توماس هوبز- Thomas Hobbes" في كتابه: "الطاغوت" الذي طور فكرة "الدولة الطبيعية" قائلاً: "إن الإنسان لا يمكنه تحملُ حالة انعدام الأمن حينما تكون هي الوضع الطبيعي السائد... بيد أن فوضى الحياة الدولية لا تدفع الدولة بالمثل إلى قبول مستبد عالمي؛ وذلك لأن الدولة تأوي الإنسان في كنفها، وتخفف من شعوره بانعدام الأمن"، ويرى "هوبز" أن القوة عامل حاسم في السلوك الإنساني، فالإنسان يسعى باستمرار نحو امتلاك المزيد من القوة، ولا يتوقف عن هذا السعي إلا عند موته (Hobbes, 1994: 64).

إن النظرة التشاؤمية للفكر الواقعي لدى "هوبز"؛ جاءت نتاجاً لحالة الفوضى الناجمة عن التحولات الداخلية السائدة في بريطانيا على وجه الخصوص، والمجتمع الأوروبي على وجه العموم خلال القرنين السادس والسابع عشر، ومن ثَمَّ عدَّ "هوبز" في كتابه "الطاغوت"؛ أن هذه الحالة هي "حرب الكل ضد الكل"، وقام على المستوى النظري بالفصل بين الأخلاق والسياسة (حتي، ١٩٨٥: ٢٤).

اتضح أن مبدأ الفصل بين الأخلاق والقيم والسياسة في فكر وممارسة المدرسة الواقعية، تعود جذوره للفكر الذي أسهم في وضع أسسه "هوبز".

أما الفيلسوف الألماني "هيغل–Hegel"، فقد عدَّ النظرية السياسية نظريةً تتأثر بمفهوم الدولة، وحسب رؤيته؛ فالدولة هي حقيقة موضوعية ذات وجود منفصل عن وجود، وشخصية مواطنيها، فالدولة لها معايير أخلاقية أعلى من تلك التي عند المواطنين، ومختلفة عنها، ومن ثَمَّ فإن من أولى أولوياتها هي الحفاظ على ذاتها، فالفكر الواقعي لدى "هيغل" ينطلق أساساً من القاعدة القائلة: "أن الدولة تُنشئ أخلاقياتها، وتعمل للحفاظ على بقائها"، وفي هذا الإطار، يقول هيغل: "إذا كان للفرد الحق الأخلاقي للتضحية بذاته دفاعاً عن مبدأ أخلاقي، فالدولة لا يحق لها أن تقدم موقفاً أخلاقياً على حساب عمل سياسي ناجح مثلاً" (حتي، ١٩٨٥: ٢٤)، بمعنى أدق، أن رؤية "هيغل" للمبدأ الأخلاقي غير مطلوب من الدولة في حال ما تطلبت مصالحها وبقائها ذلك، وهنا ينتفي الالتزام الأخلاقي للدولة إذا تناقض ذلك مع بقائها.

وقد أسهم المفكر الأمريكي، وعالم اللاهوت البروتستانتي "رينهولد نيبور–Reinhold Nebour" ١٨٩٢–١٩٧١م في تطوير النظرية الواقعية التقليدية، وأكّد على أن الإنسان "مُلطخ بالخطيئة الأولى"، وعليه فإنه مهيأ للشر، والخطيئة عنده تنبع من القلق الشديد، والإنسان في فكر "نيبور" يسعى إلى القوة، وإرادته في الحياة تقوده للهيمنة على الآخرين، والسعي نحو تحقيق الذات، كما أشار إلى أن القوة القومية ليست انعكاساً لإرادة الأفراد في تحقيق القوة، وأكد كذلك، على أن الصراع مسالةً متأصلةً في العلاقات بين الجماعات والدول، إلا أنه لا يوافق على أن يكون

رجل الدولة غير أخلاقي، في الوقت ذاته؛ لا بد أن يمتلك الوطن "القوة والنفوذ" بالاعتماد على الوسائل العسكرية (دورتي، وبالسغراف، ١٩٨٤: ٦٣-٦٤).

وهنا، فإن أفكار "نيبور" ما هي إلا امتداد واستكمال للفكر الواقعي القائم على ضرورة امتلاك الدولة للقوة والنفوذ واستخدام الوسائل العسكرية في تحقيق هيبتها ومكانتها بعيداً عن رغبة الأفراد والجماعات التي تعيش فيها.

أما "نيكولاس سبيكمان- Nicholas Spykman" ١٨٩٣-١٩٤٣م، فقد اعتقد بأن: "الصراع وليس التعاون" هو المحور في السياسات الدولية، مؤكداً على أن الأوضاع التي تُميز العلاقات بين الجماعات داخل دولة معينة خلال الأزمات، وعند انهيار السلطة المركزية؛ هي أوضاع طبيعية لواقع العلاقات بين الدول في النظام الدولي" (دورتي، وبالستغراف، ١٩٨٤: ٦٥).

في حين يرى "ألين بوكانان- Allen Buchanan": "أن طبيعة العلاقات الدولية تستبعد الأخلاق في ذلك المجال، وتفضل القوة"، في حين يؤكد "تشارلز بيتز-Charles Beitz": "أن الأحكام الأخلاقية ليس لها مكان في مناقشات الشؤون الدولية أو السياسة الخارجية". أما "يورغن هابرماس-Jurgen Habermas"، فقد كان أكثر تطرفاً، بقوله: "أن القوة الغاشمة تشكل الأسبقية الوجودية على القانون" (Duncan, 2017: 2).

أما "هانز مورجنثاو-Hans Morgenthau" ١٩٠٤-١٩٨٠م (الأب الروحي للواقعية الحديثة)، ومُرسي دعامتيها التحليليتين الرئيستين (:القوة، والمصلحة القومية)، فقد قدم عدة كتب في العلاقات الدولية، كان الأشهر بينها كتابه "السياسة بين الأمم Politics Among Nations" الصادر عام 1948م، فقد قام بدراسة القوة كجزء مركزي للسياسة الدولية، مؤكداً على أن جميع السياسات القائمة على الصراع من أجل الحصول على القوة، والتي تمثل الهدف الأسمى للسياسة، وهي الدافع المقرر لأي عمل سياسي، وتجاهل "مورجنثاو، دور الجوانب المثالية في حل معضلات السياسة الدولية (Viotti, & Kauppi, 1997:56-57))، بمعنى آخر،

أنه تجاهل القانون الدولي العام، وهذا تأكيد لفكره المعتمد على القوة، فقد أكد على أن:

- "العالم البعيد عن الكمال من وجهة النظر العقلية هو محصلة قوى ملازمة للطبيعة البشرية، وعلى المرء أن يعمل وفق هذه القوى لا ضدها إذا شاء تحسين العالم" (النعيمي، ٢٠١٣: ٢٠٢).
- "في الطبيعة البشرية تجد القوانين الحاكمة للسياسة الدولية جذورها" (كاربوفيتش، ٢٠٢١: ١٩).
- "العالم هو نتاج للقوى الكامنة في الطبيعة البشرية"، والطبيعة البشرية لدي مورجنثاو تتسم بالأنانية، والرغبة الجامحة في القوة إلى حد الشهوة، كما أن جوانب الفجور المتأصلة في النفس الإنسانية تهيمن على كل أعمال الإنسان" (كاريوفيتش، ٢٠٢١: ٥).
- "إن الرغبة الخالدة في القوة التي تجعل من الشر مهيمناً أبدياً على كل أعمال الإنسان... هنا حيث الفساد والخطيئة التي تقحم نفسها حتى في أطيب النوايا ولو بقطرة من الشر فتفسدها، فعلى سبيل المثال، تستحيل الكنائس منظمات سياسية، والثورات تتحول إلى ديكتاتوريات، وحب الوطن يُعبر عنه من خلال السلوك الإمبريالي"(وهبان، ٢٠١٦: ١٥).

لذلك يعد مفهوم المصلحة أداة تحليل رئيسة في الواقعية لفهم وتفسير السياسة الدولية، وتُعرف المصلحة دائماً بلغة القوة، وتعدُّ المصلحة المحددة بالقوة كمفهوم يصلح لتحليل مختلف سياسات الدول في أوقات مختلفة، ويؤكد "مورجنثاو" أيضاً: "أن الواقعية السياسية تدرك جيداً أن الواقع السياسي مليء بالعوامل غير العقلانية والأحداث غير المتوقعة التي تؤثر كلها في السياسات الخارجية للدول... إن الواقعية السياسية تُقّوم البنيان النظري لسياسة خارجية عقلانية (Kahler, 1998: 920).

وحول تفسيره للثورة الفرنسية والحروب النابليونية عد "مورجنثاو" أنها: "أحدثت درجة كبيرة من التغيير في النظام الدولي، حتى أن بقاء النظام الدولي القديم كان

يحتاج للاستمرار في استخدام القوة العسكرية من أجل حماية وإعادة الملكيات المطلقة ومستعمراتها في جميع أنحاء العالم" (ليتل، ٢٠٠٩: ١٣٤).

وفي هذا الإطار، يقول "جورج كينان–George Kennan" ١٩٠٤–٢٠٠٥م: "إن أكبر المساوئ التي انطوت عليها سياساتنا الخارجية في الماضي تكمن في نظرتها للمشكلات الدولية بروح يغلب عليها ما أُسميه بـ"الطابع القانوني–الأخلاقي"، وهي روح مبعثها الاقتناع بأنه من الممكن القضاء على التطلعات الخطرة، والفوضوية التي تحرك الحكومات" (النعيمي، ٢٠١٣: ٢٠٦).

ويرى كينان أيضاً: "أن الطبيعة البشرية غير عقلانية، وعنيدة، وأنانية، وميالة إلى العنف"، ويعدُّ أنه لم يكن من المستحيل إحداث تغير أساسي في الإنسان، فإن التفاوت الكبير في النمو الثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي للدول، يسهم في زيادة النزاعات بينها، وخلق نزاعات جديدة (حتي، ١٩٨٥: ٣٥).

أما "شوارز تيرجر–Schwarz trigger" فقد قال: "إن القوة بلا منازع محور الارتكاز في حركة التفاعلات الدولية كلها، والسبب هو أنه في غياب مجتمع دولي حقيقي، فإن المجموعات الدولية تتنافس بناءً على ما تمتلكه من إمكانيات مادية وعسكرية، وليس من أي منطلق قانوني أو أخلاقي" (مقلد، ١٩٨٧: ٢٢–٢٣).

في حين ارتأى "فردريك شومان– Fredrick Schumann"، "أن الارتياب هو، القاعدة الأساسية في علاقات الدول بعضها مع بعض، ومن ثَمَّ فمن السهل استشراف سلوكيات الدول التنافسية والنزاعية في نظام دولي قائم على الصراع من أجل البقاء" (حتى، ١٩٨٥: ٣٤).

في حين يقدم "هنري كيسنجر–Henry Kissinger" رؤيته التي تنفي وجود الاستقرار في النظام الدولي نتيجة وجود دول محبة للسلام؛ بل نتيجة وجود شرعية عامة في النظام قائمة على توافق دولي بين أطراف النظام حول قواعد اللعبة السياسية، والأهداف، المسموح بها في السياسة الخارجية، وهذا النوع من النظام لا يُلغي النزاع بل يبقيه وتناول كيسنجر نموذج النظام الدولي الذي أسماه "الثوري"، ومن

سماته، رفض إحدى الدول الرئيسة في النظام لقواعد اللعبة السائدة، ومن الأمثلة على ذلك، رفض فرنسا النابليونية لقواعد اللعبة القائمة؛ لذا مارست سلوكاً عدوانياً توسعياً في الساحة الأوروبية، انتهى بتدمير قوة فرنسا، وانعقاد مؤتمر فينا عام ١٨١٥م لإعادة التوازن مرةً أخرى (حتي، ١٩٨٥: ٣٥).

وقام "روبرت كابلان–Robert Kaplan" بتلخيص النظرية الواقعية حسب رؤية "هنري كيسنجر"، مقدماً بعض المبادئ الرئيسة، أهمها (قبيسي، ٢٠٠٨: ٧٧–٨٧):

١. الفوضى أسوأ من الظلم، وهذا يعني أن العالم يتميز بعدم تكامله، ولكن الفوضى تعني أن العدالة غير متوفرةً لأي أحد، بحيث تصبح الممارسات الحياتية البسيطة أعمالاً يحيطها الخطر.
٢. ليست الإشكالية الرئيسة في السياسة هي الهيمنة على الشرور، ولكن وضع حدود للحق، فلا شيء أخطر من اقتناع مجموعة من البشر بسيطرتها المعنوية، وقتها يظهر إلى الوجود الديكتاتوريات.
٣. المهمة الرئيسة لرجل الدولة هي الابتعاد عن الثورات.

وفي هذ السياق أشار "جون ميرشايمر – John Mearsheimer": "أنّ الدول لا تسعى فقط للسيطرة على الموارد عبر العالم، ولكن أيضاً تقويض هيمنة بعضها بعضًا على ما تمتلكه من موارد ومقدرات القوة"، وهذا ما يؤدي إلى تمزيق معادلة التوازن التي سوف تؤدي مباشرةً إلى نشوب النزاعات، وشيوع عدم الاستقرار، وغياب الأمن العالمي، وانطلاقاً من المدلول الأيديولوجي لميزان القوى تعمل الدول على تبرير سعيها الحثيث نحو العمل على تطوير قوتها بزعم محاولتها الإبقاء على ميزان القوى فيما بينها، غير أنه من الملاحظ– تاريخياً– أن الدول لا تكتفي بمجرد تحقيق التوازن فحسب، بل تسعى دائماً إلى تحقيق التفوق نتيجة الشعور بالخوف، وافتقاد الثقة في العلاقات بين الدول، الأمر الذي يُدخلها في سباق محموم نحو زيادة القوة (نجم، ٢٠١٨: ١٥٥).

اتضح مما سبق، بأن المفكرين وما استعرضوه من تأصيل نظري وفكري "للواقعية" أجمعوا على محورية "متغير القوة" في تطور السياسات الدولية وإدارتها، مع أنهم اختلفوا أحياناً في طريقة توظيف الفكر الواقعي، كما اتفقوا على أن الحسابات القائمة على المصالح، والحذر، والاحتراس، والقوة، والنفعية، فوق كل الاعتبارات الأخلاقية، وغيرها.

ولقد تطرق العديد من خبراء العلاقات الدولية حول الفوضى الدولية، أي أن الدول تواجهها معضلةً أمنيةً دائمةً، فكل دولة تتخذ من الإجراءات ما يكفل حماية أمنها القومي، وفي المقابل، ترى دول أخرى أن هذه الإجراءات مهددةً لأمنها، ومن ثم تقوم باتخاذ إجراءات مضادة من شأنها إلغاء أثر الإجراءات الأولى، وهنا تدخل الدول في دوامة مستمرة من الإجراءات الأمنية والإجراءات الأمنية المضادة، مما يُدلل على أن قضية الأمن أصبحت القضية الأولى في العلاقات الدولية (سليم، ٢٠٠٥: ٤٦-٥١).

إذن، هذا التحدي هو الذي يدفع الدول المحدودة القوة إلى مواجهة القوة بالقوة عن طريق التجمع في محاور أو ائتلاف قوي مضادة، وهذه إحدى طرائق تكوين التوازن الدولي الذي يُعد الركيزة الأساسية التي تستند عليها النظرية الواقعية في السياسة الدولية (مقلد، ١٩٩١: ٢٦٣).

على أي حال، بالرغم من التطورات الفكرية التي شهدتها النظرية الواقعية في العلاقات الدولية، والتوجهات التي اتبعتها من واقعية دفاعية، وواقعية هجومية، إلا أن هناك توافقًا مشتركًا بين أُطرها على أن الدولة هي الفاعل الأساس في بنية النظام الدولي، وأن المصلحة هي المحرك الرئيس لسلوك الدول، وتؤدي فيه القوة العسكرية دوراً رئيساً في تحقيق هذه المصالح، ومع ذلك، فقد تعرضت النظرية الواقعية للعديد من الانتقادات خاصة في إشكالية التحديد الدقيق للمفاهيم المعتمدة، كمفهوم المصلحة الوطنية ومفهوم القوة، فضلًا عن اختزال ظاهرة العلاقات الدولية في الدولة.

المبحث الثاني

نقد النظرية

على الرغم من تبنى النظرية الواقعية تفسير علمي للظواهر والأوضاع الدولية، الأمر الذي قد يُسهم في تخفيف حدة الانتقادات الموجهة لها، لكن في ظل ظهور وتطور العديد من النظريات الحديثة والمعاصرة- كالمثالية، والليبرالية، والبنيوية، وغيرها من النظريات التي بينّت أن الواقعية- لم يعد بإمكانها الهيمنة على تفسير الأحداث في حقل العلاقات الدولية، وهنا تستعرض الدراسة، أبرز الانتقادات التي وجُهت للنظرية الواقعية من حيث: الدولة فاعلًا، والقوة أداةً، والمصلحة غايةً، والطبيعة البشرية، وتفسيرها التشاؤمي، وذلك على النحو الآتي:

١. الدولة فاعلًا:

تعرضت النظرية للانتقاد؛ لأن الواقعيين يؤكدون على أن الدولة هي الفاعل الرئيس، وأهم العوامل في السياسة الدولية، بحكم امتلاكها عنصري القوة والسيادة، أما الوحدات الدولية الأخرى؛ فليست إلا أدوات توظفها الدول في سياستها الخارجية، ومن ثم فإن النظام الدولي، مل هو إلا مجموعة من الدول ذات السيادة، وهي المسؤولة عن التفاعلات، وليس غيرها من الفواعل الأخرى التي ظهرت فيما بعد (سليم، ٢٠٠٥: ٤٦-٥١).

ومن هنا، كانت تحليلات بعض أقطاب النظرية الواقعية أمثال: "هانز مورجنثاو" للسياسة الدولية انتقائية، ومن ثَمَّ فهو لم يُميز بشكلٍ قاطعٍ بين توازن القوى القائم على التضاد، وتوازن القوى التوافقي، كما تفتقر مقاربته إلى النظرة التاريخية، وهي نظرة عامة حول السياسة الدولية، وتصوره للعالم وكأنه حقل ساكن تُعيد فيه علاقات القوة إنتاج نفسها في رتابة لا متناهية (ليتل، ٢٠٠٩: ١١٥)، ومع ذلك آمن "مورجنثاو"، بأن الدول الكبرى هي التي تتحكم في تفاعلات النظام الدولي؛ ما يعني

أن توازن القوة فيما بينها أساس الحفاظ على استمرار هذا النظام واستقراره (الجرباوي، وحبش، ٢٠١٩: ٣٣).

قدمت الواقعية نظرة ديناميكية حول الشؤون الدولية، يقوم فيها رجل الدولة بتكييف القوة الوطنية مع مجموعة شبه ثابتة من المعطيات الخارجية، ونتيجة لذلك تجاهلت قوى التغيير، وعدَّت السياسة الدولية بأنها خطوات تتكرر بنفس النمط.

أن السياسة الدولية في القرن السابع عشر، والثامن عشر– من وجهة نظر النظرية الواقعية– كانت "لعبةً"، وهنا يُقصد التركيز على استخدام التحالفات لصيانة التوازنات، وأشارت أنه كان لبريطانيا دور مميز لعبته في نظام توازن القوى الأوروبي، الذي عرّفته بدور "ضابط" توازن القوى أو "الموازن"، وأكدت على أن بريطانيا تبنت سياسة هادفة إلى مقاومة أي طموحات للسيطرة في أوروبا القارية، وأقرت بأن هدف بريطانيا هو المحافظة على أوروبا منقسمة للسيطرة على القارة (ليتل، ٢٠٠٩: ١٢٩).

عدَّت الشهوة، بأنها: "هي التي تشكل السياسة، وتتحكم في تقدير مجراها، تلك الشهوة التي تتسلط على الإنسان، وتدفعه إلى اكتساب القوة، أو على حد قول روادها: "القوة هي طبيعة غريزية كامنة في الشخصية الإنسانية، وفي السلوك الإنساني عموماً".

٢. القوة أداةً:

أخفقت النظرية الواقعية في تحديد المفاهيم المختلفة للقوة، والتمييز بين القوة التي تأتي ناتجًا سياسيًا، والقوة التي هي مجرد أداة، والقوة التي تؤثر كدافع محرك، فكل واحد من هذه المفاهيم يفسر ظواهر، ويرتب نتائج، ويبرز حقائق تختلف في طبيعتها ومضمونها بعضها عن بعض.

عدَّت الواقعية القوة هي وحدها أداةً لتحليل الظواهر كافة في السياسة الدولية؛ ولكن في حقيقة الأمر، أن ثمة عوامل أخرى تؤثر في السلوك الخارجي، مثل: الرغبة في التعاون الدولي، والنزاعات الاندماجية في السياسة الدولية، كالحالة في أوروبا الغربية...إلخ، ومثال على ذلك اليابان التي تمتلك قدرات عسكرية محدودة، ولكن أصبح لها تأثير اقتصادي في العلاقات الدولية، وخصوصاً في قيادة آسيا والباسيفيكي في مجال التنمية الاقتصادية، كما لوحظ تراجع التركيز الدولي على الأحلاف العسكرية لمصلحة التحالفات الإقليمية والدولية ذات الطبيعة الاقتصادية، مثل: مجموعة "البريكس– Brics"، واتحاد شرق أسيا "آسيان– Asean" (نجم، ٢٠١٨: ١٦٧).

عدت الواقعية أن توازن القوة هو "نمو طبيعي وثابت للصراع على القوة"؛ لكنه صراع قديم قدم التاريخ السياسي نفسه، وأن أنظمة توازن القوى عملت بفاعلية عبر معظم حقب التاريخ الإنساني في أسيا وإفريقيا وأمريكا، بيد أن توازن القوى ظاهرةً "أوروبيةً" بدأ ظهورها في القرن السادس عشر، وعدَّت نهاية حرب الثلاثين عام، وصولاً لمعاهدة "ويستفاليا ١٦٤٨م" بدء ما أسمته "العصر الذهبي لتوازن القوى" (ليتل، ٢٠٠٩: ١٢٢)، إذ انتهت الحروب الدينية في أوروبا، ووضعت لأول مرة عدة مبادئ ذات طبيعة سياسية (المشاط، ١٩٨٨: ٤).

إن غياب الدقة في تعريف المفاهيم الأساسية، كالقوة، وميزان القوة، والمصلحة القومية، أدى إلى وجود مشاكل أمام الباحث، وخصوصاً عندما يحاول وضع مقياس لتحديد هذه القوة بشكلٍ دقيق، ويقول "ستانلي هوفمان" في هذا الخصوص: "إنه من غير الممكن استعمال كلمة (القوة) لمتغيرات مختلفة هي: القوة كمحدد للسياسة، والقوة كمقياس للسياسة، والقوة المحتملة، والقوة المستعملة، والقوة كمحصلة موارد عديدة، والقوة كمجموعة من العمليات"(حتي، ١٩٨٥: ٣٧).

ترى النظرية الواقعية بأن العلاقات الدولية ليست إلا علاقات قوة لا تخضع إلا لقانون واحد هو "قانون المصالح القومية" (مهنا، والنبراوي، ١٩٨٥: ٣٣٤)، بمعنى آخر اهتمت الواقعية بشكلٍ مفرطٍ بمفهوم القوة، ومن ثَمَّ جاءت بتفسيرات شبه أحادية للسياسة قائمةً على هذا المفهوم، إذن تقوم النظرية الواقعية–كنظرية دولية–على متغير أُحادي (حتي، ١٩٨٥: ٣٧).

إن التركيز على الوسائل العسكرية في فرض السيطرة قد ينتج فعلاً في أن يصل إلى أهدافه، كما حدث في حالة الإمبراطورية الرومانية، وفي الوقت ذاته، قد يفشل، ومن ثَمَّ تفقد الدولة ما حصلت عليه في سياق سعيها للحصول على المزيد من الممتلكات الخارجية؛ كما حدث مع "نابليون بونابرت"، ومن الممكن أن يُوقع الدولة الاستعمارية نفسها– وليس ممتلكاتها فقط– تحت السيطرة الاستعمارية للآخرين مثلما حدث بعد هزيمة ألمانيا النازية واليابان، وعليه فإن ذلك يكشف عن الطبيعة "المُقامرة" لعملية فرض السيطرة الاستعمارية بالوسائل العسكرية وحدها (مقلد، ١٩٩١: ٥٦٦).

إذن فالواقعية على هذا النحو تستخدم في مجالين على الأقل، الأول يتعلق، بمراقبة تطورات العلاقات الدولية التي يجب أن تجد تفسيراً للأحداث، مثل نهاية الحرب الباردة، والثاني، الواقعية التي ترتكز إلى عقيدة أو استراتيجية تُعنى بالسياسة الخارجية والأمن، وغالباً ما ترتبط باستراتيجيات الاحتواء أو الاستعداد العسكري للحرب (Guzzin, 2017: 10).

٣. المصلحة على حساب الأخلاق:

تشكك الواقعية في أهمية الأخلاق في السياسة الدولية، فحسب وجهة نظرها؛ لا أخلاق، ولا مكان لها في العلاقات الدولية، وأن هناك توتراً بين الأخلاق، ومتطلبات العمل السياسي الناجح، إذ يؤكد الواقعيون: "أن الدول لها أخلاقها الخاصة التي تختلف عن الأخلاق العرفية، وإن وجدت فعلاً فلا تستخدم إلا من أجل تبرير سلوك

الدول"، بمعنى آخر أن الدول بإمكانها أن تصل إلى تحقيق أهدافها بالوسائل كافة دون أن تعطي أي أهميةٍ للجوانب الأخلاقية والقانونية (النعيمي، ٢٠١٣: ١٨٩)، وهنا يرى الواقعيون بأن؛ فكرة المصالح لا تفترض وجود عالم مسالم، كما لا تفترض حتمية الحرب؛ لكنها تقوم على افتراض وجود صراع مستمر، وتهديد أو تلويح بالحرب (مقلد، ١٩٩١: ٥٢)، أي أن الواقعية السياسية ترفض الطموحات الأخلاقية المقررة مع القوانين الأخلاقية الحاكمة للكون، ولا تقبل فكرة السلام الدائم، كما لا تقبل فكرة التناسق في المصالح.

تُصر الواقعية على أن الصراع، هو الخاصية الأساسية للعلاقات الدولية، فما دامت لا توجد سلطة عليا فوق الدول، فإن كل دولة تنتهج سياسةً طبقاً لما تتصوره، ولما كانت مصالح الدول متناقضة، فإن العلاقات الدولية لا بد أن تتسم بحالة من الصراع الدائم، فالعلاقات الدولية هي "مباراةٌ صفريةٌ"، بمعنى: أن مكسب أي دولة هو خسارة محققة للدول الأخرى (سليم، ٢٠٠٥: ٤٦-٥١).

إذن، تنظر الواقعية إلى المجتمع الدولي، والعلاقات الدولية على أنها صراعٌ مستمر نحو زيادة قوة الدولة واستغلالها بالكيفية التي تمليها مصالحها، أو استراتيجيتها بغض النظر عن التأثيرات التي تتركها في مصالح الدول الأخرى (العقابي، ٢٠١٠: ١٦).

أهملت الواقعية مجمل العوامل التي تؤثر أو تحدد الأهداف، ولم توضح مثلاً: لماذا يختار صانع القرار في وقتٍ معين التصرف بشكلٍ معين، وليس بشكلٍ آخر؟ لذلك لا تهتم الواقعية بدراسة البنى المجتمعية للدولة والاعتبارات الداخلية التي تحدد وتؤثر في قوة الدولة، وفي سلوكية صُناع القرار، وخياراتهم، وهذا من شأنه أن يُحدث نوع من النظرة الآلية للعلاقات الدولية (حتي، ١٩٨٥: ٣٨)

٤. الطبيعة البشرية وتفسيرها التشاؤمي:

يشير الواقعيون إلى أن، الطبيعة البشرية مفطورةً على الشر، وليس على حب الخير والفضيلة، وأن ميلهم لامتلاك القوة يستند للخطيئة القائمة على العنف، مستندين بخطيئة "آدم"، إذ قاموا بتعميمها على البشر، بمعنى أن المصالح المادية وليس الأفكار، تهمين مباشرة على أعمال البشر، وهذا ما ذهب إليه "ماكس فيبر– Max Weber" أحد رواد المنهج الواقعي (النعيمي، ٢٠١٣: ٢٢١).

ثمة مشكلة في مستوى التحليل لدى الواقعيون، إذ ليس من الواضح تفسيراتهم التشاؤمية حول الطبيعة الإنسانية، أم بسبب طبيعة النظام الفوضوي بحد ذاته؛ لذلك رفضت الواقعية النهج المثالي الذي يعد العلاقات الدولية في جوهرها تستند إلى التعاون والانسجام بين أعضاء المجتمع الدولي، إلا أن الواقعية شدّدت على التنافس والفوضى التي تسود العلاقات الدولية، ومن ثَمَّ تجاهلت أن التجربة الإنسانية وممارسات الدولة ذات السيادة، وأخفقت في إدراك حقيقة أن تكرار الحروب والاحتماء وراء مصالح مغلقة لم تحمِ المجتمع الدولي من الفوضى، وعدم الاستقرار (نعمة، ١٩٧٩: ٤٧).

أهمل الواقعيون حركة التاريخ، عندما تكلموا عن التشاؤمية في السياسة الدولية، وجاءت نظرتهم أكثر تأثراً بظروف خاصة، بمعنى: حاولوا استحضار التفسيرات العلمية للسياسة الخارجية الأمريكية خلال حقبة الحرب الباردة (دورتي، وبالستغراف، ١٩٨٤: ١١).

عدَّ الواقعيون أن العلاقات الدولية تحكمها قواعد قانونية موضوعية كامنة في الطبيعة البشرية، ومن ثَمَّ فإن تغيير أو اصلاح هذه العلاقات يقتضي استيعاب هذه القوانين وفهمها، كما أكد أن القائد السياسي يفكر، ويتصرف طبقاً للمصلحة، وهي مرادفة للقوة (Morgenthau, 1967: 78).

طرحت الواقعية، دور العوامل الأخرى (غير العسكرية) حيث توصلت الدراسات التي أجريت حول خلفيات، وأسباب الحرب العالمية الأولى، بأن العوامل

النفسية الإدراكية أدتت دوراً محورياً في قرار الإمبراطورية النمساوية- المجرية بإعلان الحرب على صربيا عام ١٩١٤م، فقد أعلنت النمسا الحرب رغم أن الحساب العقلاني الرشيد كان يتطلب عدم اتخاذ هذا القرار؛ لأن توازن القوى الشامل بالنسبة للنمسا وحلفائها لم يكن لصالح الدولة التي أعلنت الحرب، فشعور النمسا بالإهانة القومية الناتجة عن اغتيال ولي العهد على يد "متطرف صربي" دفعها إلى إعلان الحرب رغم إدراكها بأن توازن القوى الشامل ليس في صالحها (سليم، ٢٠٠٥: ٤٦-٥١).

إن المنهاج الذي اتبعه الواقعيون في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، قائم على التوفيق بين الوسائل المتاحة وبين الأهداف، بيد أن عملية صنع القرار في السياسة الخارجية (حالياً) هي عملية صراع مستمر بين الدول المختلفة من أجل الوصول إلى الأهداف، وذلك ينطبق على الوسائل أيضاً.

على أي حال، لا يُعد الصراع هو السمة الأساسية للعلاقات الدولية، فقد ظهرت أشكال أخرى ذات أهمية للتعاون والاعتماد المتبادل بين الوحدات الدولية أدت إلى تضاؤل أهمية الأشكال الصراعية للعلاقات الدولية، فقد تطلب توازن الرعب العالمي تعاون القوتين العظمتين في عصر الحرب الباردة لمنع نشوب حرب عالمية ثالثة، كما ظهرت أشكال أخرى تستوجب التعاون، منها قضايا التصحر، والانفجار السكاني، وتلوث البيئة والهجرة، وغيرها من القضايا (سليم، ٢٠٠٥: ٤٦-٥١).

وعلى الرغم من الانتقادات الكثيرة التي تعرضت لها الواقعية من العديد من المفكرين، وأصحاب التأصيل للنظريات الأخرى، إلا أن ثمة دلائل ونماذج تؤكد اعتماد صّناع القرار في الكثير من الدول لا سيما العظمى؛ كالولايات المتحدة والكبرى؛ كروسيا الاتحادية على أطروحات الواقعية، وتبنيهم لوجهة نظرها (فكراً وتطبيقاً)، وهذا ما ستتناوله الدراسة في المبحث الثالث.

المبحث الثالث

الواقعية السياسية في الممارسة والسلوك الخارجي

إن استخدام القوة في العلاقات الدولية أصبح جزءاً من العقيدة الفكرية والسلوك التطبيقي للولايات المتحدة منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين، إذ أكدت التقارير المقدمة للكونغرس على ضرورة استخدام القوة من أجل خدمة المصالح الأمريكية، بصرف النظر عن مطابقتها أو عدم مطابقتها للقانون الدولي، وقد طبق هذا المنهج "كيسنجر"، إذ أكد: "أن التهديد أو التلويح باستخدام القوة، هو أفضل من استخدامها فعلاً"، أما نظريته حول مبدأ الرد المرن، فإنها تقوم على مبدأ الاستقرار، وليس السلام الشامل الذي لا يتحقق إلا بإبادة الآخر (أبو خزام، ١٩٩٦: ١٤-٢٦).

أشارت مجلة نقدية تصدرها الأكاديمية الأمريكية للآداب والعلوم؛ إلى أن استراتيجية الأمن القومي الأمريكي بطابعها الإمبريالي تجاوزت أحكام القانون الدولي، وخلت من أي ذكرٍ للقانون الدولي أو لميثاق الأمم المتحدة، كما تجاهلت المنظمات الدولية التي تعمل على نشر وتفعيل القانون، فمنطق القوة السائد هو الذي تمارسه الولايات المتحدة بالشكل الذي تراه مناسباً، وفي هذا السياق يقول "جون بولتون": "إنه من الخطأ أن تُمنح أي صلاحية للقانون الدولي العام، حتى عندما يبدو من مصلحتنا قصيرة الأمد فعل ذلك" (النعيمي، ٢٠١٣: ٢٠٥).

وسبق أن أنكر ورفض "جورج كينان"- السفير الأمريكي في موسكو- وأبرز الموالين للنهج الواقعي، المنهجين "القانوني والأخلاقي" في حل المشكلات الدولية، مؤكداً: "أن القانون الدولي لا يصلح أن يكون أداة لتسوية المشكلات، وهو ليس الوسيلة المناسبة، بل يعد عقبةً في هذا المجال"، قائلاً: "لتحيا الدبلوماسية بدون قانون دولي"؛ بل وصلت الأمور ببعض الجامعات الأمريكية بحذف مادة القانون الدولي من قائمة المواد التي يُمتحن فيها الدارسون في الولايات المتحدة الراغبين في تبوء الوظائف الدبلوماسية (النعيمي، ٢٠١٣: ٢٠٤-٢٠٥).

لقد انعكست هذه المفاهيم والقناعات على سلوك الولايات المتحدة من خلال مفهوم ما يسمى "Pax American"، أو "السلام الأمريكي"، وهو السلام الذي لا يُعد صنيع الدبلوماسية أو توازن القوى، بل يُعد من نتاج قدرة قوى عظمى في فرض إرادتها وسيطرتها على دولٍ أخرى، وقد كانت هناك ممارسات لهذا المفهوم؛ كالسلوك الروماني أو ما يسمى "Pax Romana" أو "السلام الروماني"، وحديثاً مارسته بريطانيا "Pax Britinica"، وكلتا التجربتين قامت على القهر والاستعباد والاضطهاد (أبو خزام، ١٩٩٦: ٢٦).

لقد أدى انهيار الاتحاد السوفيتي، وانتهاء الحرب الباردة، بالمحافظين الجدد في الولايات المتحدة إلى الاحتفال بما أطلقوا عليه "لحظة القطب الواحد– Uni Polar Moment"، وبقوة وتفوق الولايات المتحدة الأمريكية "المنقطعة النظير"، مما عكس حالة شعورية ممزوجة بغطرسة القوة والانتقام، ولم يُعد هناك مبرراً يدعو دولتهم لكي تكون مُلزمة بالمعاهدات والاتفاقيات الدولية، والمعايير التي من الممكن أن تُقيد سعيها نحو تحقيق مصالحها الحيوية.

استغلت إدارة الرئيس "جورج بوش الابن– George Bush Jr" هجمات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م لاستخدام القوة العسكرية المفرطة في أفغانستان، والعراق، وأوضحت لكل الأصدقاء والأعداء أن هناك قوة عسكرية واحدة من دون منازع؛ هي الولايات المتحدة الأمريكية، ولجأت إلى العمل الانفرادي، وتم إحلال الضربات الاستباقية محل الردع ضد الخصوم الفعليين والمحتملين (ثابت، ٢٠٠٨: ٢٠١).

وتماشياً مع مبدأ القوة أكّد الرئيس "بوش الابن" في العديد من المناسبات قبيل احتلال العراق في أذار/مارس ٢٠٠٣م على أنه: "حتى ولو انتهك الغزو القانون الدولي، فإن الولايات المتحدة ستقوم بما يلزم لحماية أمنها القومي... فأنا لن أقف متفرجاً والمخاطر تتكالب علينا" (ميرشايمر، ٢٠٢٠: ٤). وهنا إشارة واضحة إلى أن القوى العظمى– من أجل تحقيق أهدافها الاستراتيجية العليا– تُغيّر القواعد المُلزمة في القانون الدولي بما يتناسب مع مصالحها.

لقد تأثرت إدارة الرئيس بوش الابن بالفكر الواقعي، وهيمن المستشارين والوزراء في الإدارة الأمريكية من تيار المحافظين الجدد أمثال: مستشارة الأمن القومي "كوندوليزا رايس[٢] –Condolezza Rice" ونائب وزير الدفاع "بول وولفوفيتز[٣]– Paul Wolfowitz" الذي يعتبر مهندس إستراتيجية الهجوم ضد العراق، ونائب الرئيس "ديك تشيني[٤]– Dick Cheney" و"دونالد رامسفيلد[٥]–Donald Rumsfeld" و"ريتشارد بيرل[٦]– Richard Perl" رئيس مجلس سياسة الدفاع، غيرهم ممن تبنوا "سياسة الهجوم" بدلاً من الدفاع لتحقيق الهيمنة الأمريكية إقليمياً وعالمياً (لوزان، ١٩٩١: ٤٩)، وجاءت تصريحاتهم ومواقفهم علنية أمام الإعلام والصحافة، والدوائر السياسية المختلفة، ووصلت الأمور بهم إلى القول: "بأنهم يشعرون بالإهانة لاستمرار وجود الرئيس صدام في الحكم" (دان، ٢٠١٦: ٢٠١).

إذن تمتع مستشارو الرئيس "بوش الابن" من العسكريون– الذين كانوا يؤيدون اعتماد القوة التقليدية في تدمير الخصم– بنفوذ وتأثير واسعين في صنع السياسة الأمريكية بشأن العراق، وكان "كولن بأول[٧]– Colin Powel" من حملة راية "الملاذ الأخير"، إذ عارض آراء كل من وزير الدفاع "ديك تشيني"، ومستشار الأمن القومي "برنت سكوكروفت" داعياً "بضرورة إعطاء العقوبات الاقتصادية فرصةً لتفعل فعلها، وتمتد ربما لسنتين اثنتين قبل الاقدام علة تنفيذ عملية عسكرية للإطاحة بنظام الحكم في العراق" (النعيمي، ٢٠١٠: ٩٩)، بمعنى آخر أن "باول" أولى اهتماماً بضرورة إعطاء "العقوبات الذكية" فرصةً قبل الإقدام على تنفيذ عملية عسكرية ضد العراق.

وأيد آراء "بأول" عدداً من رجال الأمن القومي السابقين، بما فيهم وزير الدفاع "روبرت مكنمارا– Robert Mcnamara"، ورئيس هيئة الأركان المشتركة في إدارة "رونالد ريغان"، الأدميرال "وليم كراو– William Crow"، إلا أن الكونغرس أقدم على تفويض الرئيس باستخدام القوة ضد العراق؛ لأن إدارة بوش اقتنعت أن السماح للعراق بتطوير قدراته سيشكل تكراراً للخطأ الذي اقترفه العالم في عام ١٩٣٨ حين سمح هتلر بالاستيلاء على مقاطعة بوهيميا التشيكية (براون، ٢٠٠٤: ٢٤–٢٥).

وتشير الأدلة إلى أن دائرة "الفولكانيين[٨]– Vulcains" نادراً ما استشارت الخبراء المُطّلعين على قضايا الشرق الأوسط، أو وكالة الاستخبارات المركزية (CIA)، وبالتالي فقد تجاهلت هذه الدائرة التقارير والتقديرات التي خالفت توقعاتهم، بل قاموا بالضغط بشكلٍ كبيرٍ على وكالة الاستخبارات ومؤسسات أخرى ضمن المجمع الاستخباري الأمريكي من أجل تأكيد وجهات نظرهم، بهدف إثبات أنه كان لدى العراق أسلحة دمار شامل، أو أنه يقوم بتطويرها (دان، ٢٠١٦: ٢٠١–٢٠٢).

على هذا الأساس، استخدمت الولايات المتحدة سياسة الانتقام والإذل تجاه العراق في أذار/مارس ٢٠٠٣م، ولم تكترث اطلاقاً بالمعارضة الدولية الواسعة لهذه الحرب، فكانت حادثة نادرة في التاريخ لدولةٍ قامت بحشد القوة الصلبة (Hard Power) وتوجيهها بشكلٍ هائل في وقتٍ قصير.

ومن ثَمَّ استخفت إدارة "بوش الابن" بالقانون والقواعد الدولية، مما شجّع أطراف دولية أخرى على سلوك النهج نفسه، إذ كّثف الروس من هجماتهم لسحق الشيشان، في ظل صمت وتغاضي الإدارة الأمريكية، كما زادت إسرائيل من عدوانها العسكري ضد الفلسطينيين، لا سيما في قطاع غزة، وبذلك تكون الولايات المتحدة قد تحولت من قائد عالمي إلى قوة عظمى خارجة عن القانون، وإلى إمبراطورية تمتلك القدرة على معاقبة المناهضين لها، وهناك من وصفها بأنها قوة أكبر من الإمبريالية في عصر ما يُسمى "النظام الأمريكي–American System"، فهي تحتفظ بحلفاء تابعين، وشبكات استخباراتية ضخمة، إلى جانب جيش ضخم من الرجال والنساء منتشرين في خمس قارات، كما توجد لديها مجموعات مقاتلة تقف على أهبة الاستعداد في كافة الأماكن، إلى جانب امتلاكها حوالي ٣٠% من الناتج الاقتصادي العالمي (ثابت، ٢٠٠٨: ٨–٢١).

نماذج تطبيقية في السلوك الواقعي:

مارست الولايات المتحدة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، استراتيجيات هدفت إلى احتواء دول اعتبرتها معادية ومعارضة لمصالحها حول العالم، وهو ما برز خلال

عهد الرؤساء "جورج بوش الأب"، و"بيل كلينتون"، و"جورج بوش الابن"، وبذلك استمرت هيمنة الفكر الواقعي في تطبيقات السياسة الخارجية الأمريكية (العكيلي، ٢٠٢١: ٥٣).

ظهرت هذه الصياغات أو الاستراتيجيات في إطار مسميات جديدة، بدايةً من اعتماد مسمى "الدول المارقة– Rogue States"، الذي شمل الدول التي تشكل خطراً على مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وبموجب هذا المُسمى؛ فإن كل دولة تتعارض معها تكون هدفاً للاحتواء، والعقاب الأمريكي.

إن فرض "قانون داماتو–D'Amato's Law"، وهو قانون العقوبات الذي فُرض على إيران وليبيا عام ١٩٩٦م. ليدلل على استمرار الحسابات والاعتبارات الواقعية الأمريكية الساعية إلى تحقيق الهيمنة والنفوذ على أكبر مساحة من العالم، وعدم القبول بوجود أيّ قوى منافسة ومتحديّة لهيمنتها (تشومسكي، ٢٠٠٤: ٤٨)

كما برز خلال إدارة الرئيس "جورج بوش الابن" مسمى دول "محور الشر– Axis of Evil"، الذي بدأ يردده في خطابه الذي ألقاه في ٢٩ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٢م، قاصداً فيه العراق وإيران، وكوريا الشمالية بعدِّها دولًا تدعم الإرهاب، وتسعي لامتلاك أسلحة دمار شامل (رايس، ٢٠٠٨: ٢١).

أدت السياسة الخارجية لإدارة "بوش الابن" إلى شن حرب على إحدى الدول التي صُنفت ضمن الدول "المارقة"، كما حصل مع أفغانستان عام ٢٠٠١م، وكذلك على العراق عام ٢٠٠٣م التي صُنفت ضمن دول "محور الشر"، وجاءت ممارسة هذا السلوك في إطار الواقعية السياسية الهادفة للسيطرة على موارد هاتين الدولتين، وكذلك ضمن اعتبارات جيوسياسية تتمثل في ضمان أمن إسرائيل، وتعزيز الهيمنة الأمريكية في الشرق الأوسط، عبر إسقاط واضعاف الدول العربية الرافضة لسياستها (عطار، ٢٠٠٧: ١٠٨).

تأسيساً على ما تقدم، سيتم في إطار تطبيقات النظرية الواقعية، استعراض السلوك الخارجي لدولتين مارستا هذا السلوك وطبقته، من خلال حالتي: الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، والحرب الروسية على أوكرانيا عام ٢٠٢٢م.

١. **الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣:**

أثبت أتباع النظرية الواقعية فرضيات القوة، وانفرادية الفاعل، وفوضوية النسق الدولي، وإستراتيجية الموازنة وإيعازها مباشرة للسلوك الخارجي الأمريكي، كركائز ثابتة لأي تفسير لسياسة خارجية قوامها القوة السياسية (دورتي، وبالستغراف، ١٩٨٤: ٣٧٢).

وهذا ما يفسر سياسة الهيمنة الأمريكية التي تمت ممارستها في ظل ما تمتلكه من قوة، لا سيما أن الواقعيين ادّعوا بأن غزو العراق جاء لمنع قيام قوة تهدد الأمن والاستقرار الإقليمي والدولي (Rieker, 2005: 264-280).

إن "فرضية البقاء" لدى أصحاب الواقعية التي عدُّوها الهدف الأساس للدولة الوطنية التي يجب الحفاظ عليها بكل الوسائل، بل وأكثرها شدةً، وهذا ما كان واضحاً في رغبة الولايات المتحدة الأمريكية في فرض النظام الدولي الجديد من خلال سيطرتها، وإظهار قوتها للعالم عامة، وللعراق على وجه الخصوص، على أنها القوة الأوحد في هذا النظام الذي لا يُسمح للقوى الإقليمية بالتفوق، والتوسع على حساب مصالحها الحيوية، وفي هذا دلالةً واضحةً أنّه من بين أهم الأطر الإستراتيجية الدافعة للاحتلال الأمريكي للعراق هو فرض القوة الأمريكية، ومنطق الهيمنة (بهولي، ٢٠١٤: ١٣٨).

فالمصلحة الوطنية العليا على حساب المصلحة الجماعية، والقوة السياسية بدلاً من قوة الاعتماد المتبادل، والفوضى بدل النّظام، هي المدخل النظري الملائم لتفسير جوهر السلوك الأمريكي تجاه العراق، وفي ضوء ذلك يتطابق المقترب الواقعي في أن أهداف الولايات المتحدة الأمريكية في نشر "الديمقراطية" كانت وسيلةً، وليس هدف،

ومبدأ لدعم مصالحها وقيمها، وليس لدعم الديمقراطية من أجل تحقيق أهدافها المحورية التي سعت إليها، وهي (سويلم، ١٩٩٤: ١١) و(صارم، ٢٠٠٣: ٨):

- السيطرة المنفردة على منابع النفط في "منطقة الخليج" التي تشكل مصدراً لثلث الاحتياجات البترولية الأمريكية، وهذا ما قاله "جيمس بول": "إن أحدًا لم يعد يصدق الأكذوبة الأمريكية التي تقوم بالدفاع عن حريات، وحقوق الإنسان، وما شابه... أنّ الأمر باختصار يتمحور أولاً حول السيطرة على مصادر الطاقة بشكلٍ خاص كهدف له الأولوية".
- إزاحة الرئيس "صدام حسين" عن السلطة، والقضاء عليه، بعدما زعمت الولايات المتحدة بأنه يهدد الأمن الأمريكي، والادعاء بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل، وصلاته العميقة بالمنظمات "الإرهابية" بما في ذلك تنظيم القاعدة.
- ايجاد نظام سياسي موالٍ لها، ومؤيد لسياساتها، عن طريق إعادة بناء عراق ديمقراطي، متذرعةً أنّ الدول الديمقراطية لا تحارب نفسها، ومن ثَمَّ تقل الحروب، ويعم السلم.

يعد الواقعيون أن الولايات المتحدة الأمريكية دولة لا تزال تنتهج "سياسة العقلانية"، وتتبنى الحساب العقلاني الدقيق للتكاليف والمكاسب الناجمة عن أي بديل تختاره، وتسعى لتحقيق أهدافها بالاعتماد على إمكانياتها الذاتية، الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية، وهذا فعلاً ما حدث في العراق من خلال القوة التي تتمتع بها، ما جعلها في قمة النّظام العالمي، وهي المكانة التي تسمح لها بالهيمنّة على الوحدات الدولية الأخرى، وتمنحها أسبقية التدخل العسكري لتغيير النّظام من أجل خلق نظام موالٍ لها، ومؤيد لسياستها (بهولي، ٢٠١٤: ١٣٩).

لقد ربط منظرو الواقعية بين السلوك الأمريكي الخارجي تجاه العراق، وأهداف القوة السيّاسيّة، واعدُّوا هذا الربط مبرراً في العديد من المواقف، فالسعي وراء تحقيق أهداف المصلحة الوطنية يبقى في جميع الحالات الهدف النهائي لصانع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية (رياض، ٢٠١٢: ١٢)، ومهما تنوعت المبررات أو

الأهداف المعلنة؛ تبقى الأهداف الإستراتيجية لدولة تملك من القدرات ما يؤهلها لتكون قوة ذات نفوذ عالمي متعلقة تلقائياً بطموحات القوة السياسية سواء لهدف الاستقلال "الواقعية الدفاعية" أم لهدف البحث عن النّفوذ والمكانة "الواقعية الهجومية" (بهولي، ٢٠١٤: ١٣٩).

إن السلوك الأمريكي باحتلال العراق–في ضوء الواقعية–لدليل ونموذج للسياسة الخارجية، يُركز تحليله في نهاية المطاف على أنّ جميع الدول تبحث عن خدمة مصلحتها الوطنية من خلال التوسع، والدفاع عن موقعها من القوة في عالم فوضوي (Rittberger, & Wagner, 2001: 29–30).

فالمصلحة الوطنية "كمتغير واقعي تابع" لها تعريفات وتصنيفات مختلفة، وأحياناً متناقضة بين فواعل يفترض أنهم يملكون نفس الموقع من القوة في النسق الدولي بما يؤهلهم لنهج سلوك خارجي متشابه؛ فالولايات المتحدة الأمريكية رأت مصلحتها في إتباع هذه السياسة، وهي الحرب على العراق من أجل تحقيق أهدافها الوطنية.

وإذا نظرنا إلى هذه الحرب– حسب المنظور العقلاني– الذي يرتكز على عملية حسابية (تحقيق أكبر قدر من الأرباح بأقل تكلفة ممكنة) لم يتحقق؛ لأنّ تكلفة الحرب والخسائر كانت أكبر مما انعكس سلباً على المجتمع الأمريكي برمته من خلال الأزمة المالية، والديون الكبيرة، وإذا نظرنا إلى اعتقاد المحافظين الجدد الذي يتمثل في أن إزاحة الرئيس العراقي عن السلطة سيكون له تأثير ارتدادي على الدول المصنفة ضمن محور الشر لم يتحقق أيضاً، وهذا تأكيد واضح على دور نخبة القوة في صياغة وتنفيذ أجندات السياسة الخارجية الأمريكية من المنظور الواقعي.

كما أنّ الديمقراطية التي هدفت الولايات المتحدة إلى دعمها في المنطقة هي، ديمقراطية شكلية، لن تجلب للعراقيين سوى العبودية والفقر والذل والاقتتال بين الطوائف، بدل حقوق الإنسان، الحرية، والسلام التي تتحرك باسمهما من أجل تحقيق مصالحها، خاصة وأنّ الآليات المتبعة في ذلك، أثبتت العكس، فلا وجود لنية صادقة

في تنمية الشعب العراقي وتوعيته، كما أنّ ظهور مؤسسات غربية في المجتمع العراقي، وطرح برامج تغييريه، وأحزاب سياسية توجهها جهات غربية دليل على نية تفكيك الشعب العراقي، وتفتيته وطمس هوية شعبه، وهو هدف آخر سعت إليه الولايات المتحدة وحليفتها إسرائيل (بهولي، ٢٠١٤: ١٤٢)، وهذا هو جوهر استراتيجية الفوضى الخلاقة التي وضعت ركائزها "كونداليزا رايس" مستشارة الرئيس بوش الابن للأمن القومي (آنذاك).

إنّ النتيجة النّظرية الأهم بشأن تفسير السيّاسة الخارجية الأمريكية تجاه العراق هي: أنّ الاتجاه العقلاني الذي ما لبت محللو السيّاسة الخارجية يستخدمونه لفترةٍ طويلةٍ بحاجة إلى تعديل، وربما وجب على الخبراء والمنظرين في هذا الحقل أن يدركوا بأنّ فهماً أفضل للسياسة الخارجية سيكون قاصراً؛ إذا لم يوفر الاهتمام الكافي لتأثير المتغيرات المعيارية، فالواقعية تحوز تأييداً إمبريقياً "تجريبياً" معتبراً حين تنظر إلى تلك الأهداف المعيارية؛ كالهيبة، والنفوذ، والاستقلال في سياق أهداف القوة السياسية، التي تصب في النهاية لتحقيق أهداف المصلحة الوطنية المادية (بهولي، ٢٠١٤: ١٤٣).

عموماً، إن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في علاقاتها الدولية، تطبق مرتكزات النظرية الواقعية، التي تستند على القوة، والمصلحة القومية كأساسٍ في العلاقات الدولية، فهي تسعى دوماً إلى إظهار قوتها والمبالغة فيها لتحقيق أهدافها القومية، دون الاكتراث بالقانون الدولي، والمنظمات الدولية الناظمة للعلاقات الدولية، في المقابل سعت إلى تبني نهجاً براغماتياً واقعياً في سياستها الخارجية قائماً على القوة والغطرسة، وتمت ترجمة هذا النهج إلى سلوك تجاه العراق الذي عَدَّته معركة بين "الخير والشر"، لكنها في الوقت ذاته كانت تهدف إلى تحقيق مصالحها القومية العليا.

وفي إطار هذا السلوك، حافظت الولايات المتحدة الأمريكية على مصالحها القومية عبر اتباع أساليب متعددة، غلبت عليها لغة القوة كترجمة للواقعية، فمنذ

انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى المرحلة الراهنة حرصت على امتلاك كافة مصادر القوة، وعلى رأسها القوة العسكرية، التي مارستها في كافة أنحاء العالم، وازدادت بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م من خلال استخدام استراتيجية "الضربة الاستباقية" القائمة على مهاجمة العدو داخل حدوده، وهي استراتيجية نظّرت لها "كونداليزا رايس"، وتتماشي مع فلسفة ومنطلقات الواقعية، فكانت البداية بغزو أفغانستان في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١م، ثم احتلال العراق في أذار/مارس ٢٠٠٣م.

ختاماً، ارتكزت تطبيقات السياسة الخارجية الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على أدبيات وأفكار النظرية الواقعية التي تتخذ من مفهومي، "القوة والمصلحة القومية" ركيزتين أساسيتين في النظرية الواقعية، وعند تتبع السلوك الأمريكي نجد أن هذين المفهومين (القوة والمصلحة القومية) جزء أصيل من الفكر السياسي الأمريكي الواقعي، وسلوك صُناع القرار، ونخبة القوة المؤثرة في مدخلاته ومخرجاته.

٢. الحرب الروسية على أوكرانيا شباط/فبراير ٢٠٢٢م:

بالرغم من أن جذور الفكر الواقعي وأثره في فهم السلوك التفاعلي بين الدول والأمم تعود إلى العصور القديمة، إلا أن ثمة أثر حقيقي للفكر الواقعي حدث في أعقاب الحرب العالمية الثانية، ليواجه طروحات النظرية المثالية التي تطلعت بأن تكون الحرب العالمية الأولى آخر درس للبشرية كي تسير على طريق السلام والقانون الدولي والحوكمة العالمية (Griffiths, 1992: 42). فالتطلعات المثالية باءت بالفشل بنشوب الحرب العالمية الثانية التي كانت خير دليل على صحة منطلقات المدرسة الواقعية التي تنظر للعلاقات الدولية باعتبارها ساحةً تفتقر إلى الالتزام بالقانون الدولي، ومن ثم فهي تتسم بالفوضى، وتتبارى فيها الدول لتحقيق مصالحها، وتتحدد حصيلة هذه المباراة العالمية وفقاً لعامل وحيد، وهو: القوة، فالدول تحقق مصالحها بقدر قوتها، وهكذا، فإن مفتاح فهم العلاقات الدولية وفقاً للمدرسة الواقعية هو (المصلحة والقوة)، وما ينتج عن تفاعلهما من توازنات يمكن أن تؤسس

لحالة من الاستقرار، أو من اختلالات في التوازن يمكن أن تفضي لصراعاتٍ جديدة (أحمد، ٢٠٢٢: ١٩).

استناداً على هذا التأصيل، إن الأزمة الأوكرانية منذ بدايتها وحتى الآن، تعدُّ تجسيداً لمقولات وأدبيات النظرية الواقعية في نشوبها وتطورها، وآفاق الحل السياسي لها، فقد أفرزت الطريقة التي انتهت بها الحرب الباردة ميزاناً مختلاً للقوى بين المعسكر الرأسمالي بزعامة الولايات المتحدة، وفراغاً خلَّفه تفكك الاتحاد السوفييتي ومعسكره الاشتراكي، وقد زاد من صعوبة الأمر، أن روسيا خلال فترة حكم الرئيس "بوريس يلتسن" شهدت تدهوراً سياسياً واقتصادياً لم تستطع معالجته إلا بعد وصول الرئيس "فلاديمير بوتين" لرئاستها عام ٢٠٠٠م، وفي الوقت نفسه تكاثفت جهود حلف الناتو على تطويق روسيا تحسباً لعودتها من جديد كقوة منافسه (أحمد، ٢٠٢٢: ١٩)، وبدأ الحلف فعلياً بالتمدد شرقًا، فانضمَّت جمهوريات "التشيك، والمجر، وبولندا" للحلف عام ١٩٩٩م، وبين عامي ٢٠٠٤م و٢٠٠٩م، انضمت تسع دول من شرق أوروبا، بعضها من الجمهوريات السوفيتية السابقة، وهي: "بلغاريا، إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا، رومانيا، سلوفاكيا، سلوفينيا، ألبانيا، كرواتيا"، ثم لحقت بهم بعد ذلك كل من: "جمهورية الجبل الأسود ومقدونيا الشمالية"، وأصبح إجمالي عدد الدول التي انضمت للحلف بين عامي ١٩٩٩م و٢٠٢٠م نحو ١٤ دولة، تشكِّل نحو نصف الدول الأعضاء في الحلف الذي تأسس عام ١٩٤٩م (عبد الشافي، ٢٠٢٢: ٢).

حاول الرئيس "بوتين" أن يؤسس لعلاقة بين روسيا وحلف الناتو، تنطوي على ضمانات أمنية متوازنة للطرفين– من وجهة نظره– لكن دون جدوى، حيث ازدادت وتيرة المساعي الأوروبية في ضم الدول المحيطة بروسيا لحلف الناتو في محاولةٍ منها لمنع روسيا من إقامة ترتيبات أمنية مع هذه الدول (أحمد، ٢٠٢٠: ١٧١)، ثم وصلت مسألة توسع "حلف الناتو" نحو أوكرانيا التي يتداخل تاريخها وجغرافيتها مع روسيا، وزاد من صعوبة هذا التوجه تلويح الرئيس الأوكراني بالخيار النووي الذي تخلت عنه طواعية في عام ١٩٩٤م، مقابل ضمانات لأمنها. وهنا رأى الرئيس

الروسي أن التهديد الأمني لروسيا تجاوز حد الخطر، فقام بعمليته العسكرية في شباط/فبراير ٢٠٢٢م (أحمد، ٢٠٢٢: ١٩).

وهنا نتساءل: لماذا صمت الرئيس "بوتين" في عام ٢٠٠٤م تجاه انضمام جمهوريات البلطيق لحلف الناتو، ولم يصمت تجاه أوكرانيا عام ٢٠٢٢م؟

تقدم النظرية الواقعية الجوابَ عن هذا التساؤل، وهو: أن الرئيس "بوتين" لم يكن (آنذاك) قد أنجز عملية إعادة بناء القوة الروسية، وبالتالي فإن روسيا لم يكن بمقدورها أن تتحمل تكلفةَ تحدي التحالف الغربي، فعندما بدأ القتال توقع الكثيرون انتصاراً سريعاً لروسيا، اعتماداً على الخلل في ميزان القوى بين روسيا التي تمتلك جيش يصنف الثاني عالمياً، وأوكرانيا التي تمتلك جيش يصنف في المرتبة الثانية والعشرين عالمياً؛ لكن المعادلة ليست روسية أوكرانية، فقد دخلت الولايات المتحدة على رأس التحالف الغربي في المعادلة؛ لأن استنزاف روسيا هدف استراتيجي لها؛ بل ثمة اتجاهٌ يرى أن الغرب استدرج روسيا أصلاً لهذا التورط تحقيقاً لهذا الهدف (جزيلان، ٢٠٠٢).

إن ما يحصل في أوكرانيا يدعم القدرة التفسيرية للواقعية، ولا يرتبط بنظرية أخرى، وما يؤكد ذلك، أن الأحداث المتسارعة في أوكرانيا جاءت تأكيداً لدور المنظور الواقعي في العلاقات الدولية، أي قد يتفق الواقعيون أن العالم لا وجود فيه لأي هيئة أو مؤسسة دولية يمكنها حماية العالم، والدول بعضها من بعض، ولو أن هناك مجلس أمن فاعل، وأمم متحدة قادرة، فإن ذلك لا يضمن للعالم ألا يعتدي بعضه على بعض، وهذا ما يجعل الدول قلقلة من مستقبل ينتظرها يشمل تعرضها لاعتداءٍ خطيرٍ متوقع، أو محتمل، هذا الوضع لا يجعل الدول الصغيرة قلقة وحسب؛ بل تكون الدول الكبرى في مقدمة القلق على مستقبلها (Walt, 2022)، فالحرب الروسية على أوكرانيا شبيهة- إلى حدٍ كبير- بالاحتلال الأمريكي للعراق في أذار/مارس ٢٠٠٣م، مما يعطي دلالةً بأن الدول العظمى تتصرف من منطلق القوة فقط، فالولايات المتحدة عندما احتلت العراق كان سلوكها أكثر فداحةً من روسيا عندما شنا الحرب على أوكرانيا؛ لأن الأخيرة في موقف منطقي يمكن وصفه؛ لأن

لديها مسوغًا وهو أمنها القومي، أما الولايات المتحدة، فتبعد عن العراق آلاف الكيلومترات، ولا يعنيها في أمنها القومي أي شيء، في الوقت الذي لا يمكن لهذه الدول أن تلتزم بالأخلاق في حروبها تلك، وغزواتها المختلفة (جزيلان، ٢٠٢٢).

إن الحرب في أوكرانيا تؤكد مفهوماً واقعياً، من حيث المشكلة الأمنية للدول، فتتكون تلك المشكلة من اتخاذ روسيا تدابير احترازية تصل إلى حد إعلان الحرب، وهذه التدابير تودي إلى تراجع كثير من الدول الأخرى، لا سيما دول أوروبا الشرقية، التي تسعى للانضمام لحلف الناتو بعيداً عن روسيا (أحمد، ٢٠١٩: ٢١٣)، لكن في المقابل يجب تفّهم قلق روسيا من ذلك (Walt, 2022). فمن خلال رؤية الأحداث في أوكرانيا من منظور الواقعية، أي إن الواقعية ليست بالضرورة تدعو للحرب كخيار وحيد؛ بل تعد أن اللجوء إليها "شر لا بد من الوقوع فيه" بحكم قانون الصراع الموضوعي، وجميع الواقعيين، أدانوا الطبيعة المأساوية، التي تتبعها السياسة العالمية الليبرالية، في نفس الوقت الذي حذروا فيه، من إغفال المخاطر التي تبرزها الواقعية، ومن ذلك المخاطر التي تنشأ عندما يكون تهديد ما لدولةٍ أخرى يُعد مصلحةً حيويةً (جزيلان، ٢٠٢٢).

من الواضح، أن الرئيس "بوتين" اتخذ قرار الحرب على أوكرانيا انطلاقاً من حسابات واقعية، تأخذ في الاعتبار الفجوة الهائلة في القوة بين روسيا وجارتها، وإمكانية حسم المواجهات المُسلحة في فترة قصيرة، ويبدو أن الرئيس "بوتين" وصُناع القرار في روسيا قد تأثروا بأفكار وأطروحات النخب الفكرية أمثال؛ الفيلسوف والمفكر الروسي "الكسندر دوغين–Dugin Alexander" صاحب "نظرية الأوراسية–Eurasian theory"، الذي عالج القضية، وحدد مسارها بالتفصيل في كتابه "أسس الجيوبولوتيك: مستقبل روسيا الجيوبولتيكي Foundations of Geopolitics: The Geopolitical Future of Russia" حيث بين: أن وجود أوكرانيا بحدودها الحالية وبتوجهاتها السيادية هو "ضربة قاصمة إلى الأمن الجيوبوليتيكي لروسيا ويعادل اختراق أراضيها"، وقال: "يجب تقسيم أوكرانيا إلى أربع مناطق، هي: أوكرانيا الشرقية (من شرق نهر الدنيبر إلى حتى بحر أزوف) والتي يغلب عليها القومية

الروسية والأرثوذكسية، والقرم باعدِّها منطقة متنوعة من الناحية الإثنية، ولبعض مجموعاتها ارتباطات معادية للجيوبولتيك الروسي (مثل التتار)؛ لذا يجب السيطرة على القرم، وإخضاعها للسيطرة الاستراتيجية المباشرة لروسيا، أما الجزء المركزي من أوكرانيا (من تشيرنيغوف إلى أوديسا) فهي منطقة مرتبطة ثقافياً بشرقي أوكرانيا، والمُدرج دون قيد أو شرط في النظام الجيوسياسي الأوراسي، أما الغرب الأوكراني فهو الأكثر عداء لروسيا، ويجب اجتثاث تبعيته للأطلسي، وأن يقام فيه "المجمع الدفاعي القاري الأوراسي" الذي يتعاون فيه القلب الأوراسي (روسيا) مع القلب الأوروبي (ألمانيا)، لاستكمال فكّ الرباط بين أوروبا والولايات المتحدة على المدى البعيد؛ لأن وجود أوكرانيا مستقلة هو بمثابة "إعلان حرب جيبولوتيكية على روسيا" (دوغين، ٢٠٠٤: ٤٣٢-٤٣٨).

إن هذه الأطروحات والمنطلقات تعد انعكاساً للسلوك الواقعي الذي تبناه الرئيس بوتين في حربه على أوكرانيا تأثراً بهذا الفكر؛ لكن تطورات الأحداث أثبتت أن هذه الحسابات ليست واقعية"؛ فالعامل الذي غيّر المعادلة إلى حدٍ كبير يتمثل في المقاومة الأوكرانية الفعّالة التي فاجئت الروس، ناهيك عن الأداء الروسي في ميدان القتال والذي أظهر عدم كفاءة الجندي الروسي، فضلاً عن الدعم العسكري الأمريكي والأوروبي الهائل الذي بدأ بفرض عقوباتٍ ضخمة على روسيا، وسرعة تدفق المساعدات العسكرية الأمريكية والأوروبية إلى أوكرانيا.

أرى، أن المقاومة الأوكرانية والمساعدات العسكرية الغربية غيّرت، وأربكت الحسابات الواقعية، فقرار أوكرانيا بالتصدي لروسيا، الخصم الذي يمتلك أسلحة ضخمة، وتمتاز بتفوق عسكري، بدى للمتابعين بأنه غير عقلاني، وأقرب إلى الانتحار، فقد لام الكثيرون الرئيس الأوكراني، واتهموه بأنه يزج ببلاده نحو الهاوية في معركة محسومة سلفاً لصالح روسيا، وأنها ستؤدي إلى تدمير أوكرانيا على غرار جورجيا عام ٢٠٠٨م، كما ساهم بعداً ثالثاً نابعٌ من حسابات واقعية أوكرانية، وكان بالغ التأثير وأسهم، في تعزيز الصمود الأوكراني، وهو البعد القومي.

ويرى بعض المحللين والمتابعين للأزمة الأوكرانية، بأن الرابطة القومية تبقى ذات طبيعة في غاية الخصوصية؛ لأنها تفرض التزاماتٍ لا تفرضها أيٌ من العوامل الأخرى لانتماء الفرد، وهي تُطالب الفرد بالتضحية بالحياة نفسها، إذا لزم الأمر، من أجل الجماعة، وليس هناك موقفٌ تكون فيه هذه التضحية واجبة وضرورية أكثر من ذاك الذي ينطوي على تهديد لبقاء الجماعة نفسها، هذا هو بالضبط الموقف الذي وجد الأوكرانيون أنفسهم فيه، إذ أجروا حساباتٍ تتعلق ببقاء جماعتهم في المستقبل، فاختاروا التضحية الآنية من أجل الحفاظ على الجماعة وكيانها القومي المستقل، لقد انعكس سلوك الأوكرانيين في ساحات القتال من منطق أن بقاءهم كجماعة هو قيمة سامية تستحق التضحية (أبو الحسن، ٢٠٢٢: ١٠).

على أي حال، إن الرؤية الواقعية أغفلت– إلى حدٍ بعيد– هذه المشاعر التي تُعد في حقيقة الأمر عاملاً حاسماً في تشكيل وتطور الأحداث، كما أغفلت أيضاً ما يجرى في داخل الدول، والطريقة التي يصنعُ بها القادةُ قراراتهم (القحطاني، ٢٠١١: ٣١١)، ولا نعرف أن كان الرئيس "بوتين" قد أطلق العملية العسكرية على أساسٍ من المعلومات الصحيحة و"الواقعية"، ولا يُعرف إن كان قد أخذ بعين بالاعتبار مفعول القومية وتأثيرها، أم أنه أقام حساباته فقط على أساس من "الواقعية الجامدة" التي تتجاوز قوة الصواريخ، والانفجارات (أبو الحسن، ٢٠٢٢: ١٠).

تبقى الواقعية السياسية ضرورةً أساسيةً لقراءة أي موقف دولي، فالواقعية تضع صانع القرار في نطاق المصالح والامكانات، بغض النظر الحقوق والواجبات، وبالرغم من تفاني الأوكرانيين في الدفاع عن بلدهم؛ ولكن هذا لا ينفى أن روسيا هي قوة عسكرية ضخمة، فالواقعية تقتضي أن الحرب حتماً ستنتهي بتسوية سياسية يتحكم الميدان في نتائجها. فالحرب الروسية على أوكرانيا يحاول كل طرفٍ فيها إقناع الطرف الآخر بأنه الأقوى والأقدر على الصمود، فالروس مثلاً حاولوا إقناع الأوكرانيين بأن الصواريخ الدقيقة وفائقة السرعة لن تجدي معها المقاومة نفعاً، في حين سعى الأوكرانيون لإقناع الروس بالصمود والقتال الذكي، وفى النهاية، فإن هدف أي عمل عسكري، هو التأثير على إرادة الخصم؛ ولكن يبدو أن التطورات

المستجدة للحرب القائمة توحي بأن المعادلة في نتائجها لن تكون صفرية في نهاية الصراع الروسي–الأوكراني، بمعنى آخر، أن "نظرية المباراة" في العلاقات الدولية حاضرةً بكل تفاصيلها وتجلياتها في هذا الصراع.

الخلاصة:

لا تزال الواقعية حاضرةً في السلوك والممارسة الدولية، وأن الحديث عن فشلها أو تراجع دورها غير منطقي، رغم الانتقادات التي وجهت لها على المستوى النظري والمعرفي والوجودي والمنهجي، نظراً لبروز الكثير من المستجدات خاصة فيما يتعلق بتزايد دور الثقافة والاقتصاد في العلاقات الدولية، ولكنها لا تزال المهيمنة على السلوك الخارجي للدول، بل أصبحت بمثابة عُرف سائد ومتفق عليه لدى صُنّاع القرار، وكذلك المفكرين والباحثين في حقل العلاقات الدولية، وأن الادعاء بأن النظرية الواقعية قد انتهت خطأ كبير؛ لأن لغة القوة والحرب ما زالت مسيطرة وبقوة على نمط العلاقات الدولية، فأحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م أعادت الطرح الواقعي بقوة في العلاقات الدولية من خلال الحرب الأمريكية على أفغانستان والعراق، وكذلك الحرب الروسية على جورجيا عام ٢٠٠٨م، وعلى أوكرانيا عام ٢٠٢٢م، يضاف إلى ذلك أن التفكير الواقعي يتطلب استخدام القوة العسكرية في ظل نظام دولي يتسم بالفوضوية.

وبالرغم من تصاعد دور الإثنيات في السياسة الدولية؛ بروز "الإثنو واقعية" "التكيف الواقعي"، ومع تصاعد دور الصين في العلاقات الدولية، وبروز ما يعرف بـ"الواقعية التعديلية" المرتكزة على "توازن التهديد، والتوازن الناعم، وتوازن المصالح، والتوازن خارج المجال"، إلا أن النظرية الواقعية ما زالت تسيطر على أغلب تصورات المفكرين، وصنّاع القرار، وهو ما يجعلها الأكثر هيمنةً من حيث السلوك والممارسة في العلاقات الدولية، مع عدم إغفال دور المقاربات والنظريات الأخرى.

من خلال استعراض الأصول الفكرية والنظرية والسلوك التطبيقي للواقعية في العلاقات الدولية، يمكن استنتاج ما يلي:

- تعرضت النظرية الواقعية–من حيث منطلقاتها مفاهيمها وفروضها–لانتقاداتٍ واسعة من مفكري ومنظري النظريات السياسية الأخرى، لا سيما النظرية المثالية والليبرالية والبنائية، سواء فيما يتعلق بالطبيعة البشرية، أم توازن القوى، أم بالاستخدام الأوحد للقوة، أم بعدم احترام المؤسسات والهيئات الدولية وحقوق الانسان والقانون الدولي.
- دافع أنصار النظرية الواقعية عن أفكارهم، وأكدوا على أن الواقعية لا تزال حاضرة في مدخلات ومخرجات النظام الدولي والعلاقات الدولية، ولا يزال مفهوم القوة، والمصلحة الوطنية هو المحرك الرئيس في سلوك وتوجهات صناع القرار.
- عززت أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م الفكر السياسي الواقعي، واسهمت في إحياء النزعة الانتقامية المعتمدة على القوة، فكانت ردة الفعل الامريكية عبارة عن ترجمة دقيقة لفكر الواقعيين.
- يعدُّ الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، دليل واضح على حضور الفكر الواقعي في السياسة الدولية، دون إعطاء أي اعتبار للمؤسسات الدولية، فكانت القوة والمصلحة القومية هي المسيطرة على النظام الدولي.
- مارست روسيا الفكر الواقعي في سلوكها تجاه العديد من الدول سواء الشيشان عام ١٩٩٢، أو جورجيا عام ٢٠٠٨م، أو سورية عام ٢٠١٥م، وأخيراً أوكرانيا عام ٢٠٢٢م، فاستخدام القوة النابعة من المصلحة الوطنية دون العودة لقواعد ومنطلقات القانون الدولي، أو احترام السيادة الوطنية للدولة.
- أثبتت الأحداث الدولية أن الفكر الواقعي لا يزال قائماً وفاعلاً في الساحة الدولية، فالقوى الكبرى تسعى جاهدةً لتوظيف النظرية الواقعية المعتمدة على القوة في تنفيذ أهدافها الوطنية دون إعطاء أي اعتبار للأخلاق والقانون.
- في ظل الفوضوية التي يتسم بها النظام الدولي، من المرجح أن تستمر الدول في الاعتماد على الفكر الواقعي كوسيلة للإبقاء على موازين القوي على الساحة الدولية.

الهوامش

[1] مصطلح مكون من مجموعة سياسية أمريكية ميل إلى اليمين المسيحي المتطرف، آمنت بقوة الولايات المتحدة وهيمنتها على العالم، وهم ليسوا ساسة فقط، بل كتاب وناقدين ومفكرين استراتيجيين، أخذت تسمية المحافظين الجدد بالبروز في الأدب السياسي الأمريكي والخطاب الإعلامي الأمريكي لتشير إلى تلك المجموعة الفاعلة والمتنفذة في الوقت الراهن في سياسة الولايات المتحدة وفي صناعة القرار (الهاشمي، ومحمود، ٢٠١٩: ٥٠).

[2] قامت بالترويج لمشروع العقوبات الذكية في أوائل عام ٢٠٠١م، وصَّرحت في تموز/يوليو من نفس العام بأن برنامج العقوبات مليء بالثغرات، وبأنه أصبح أداة للدعاية في يد الرئيس العراقي لجلب تعاطف المجتمع الدولي، كما أعلنت في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١م، أن الرئيس العراقي يشكل خطراً كبيراً على الشعب الأمريكي، بسبب تصميمه على امتلاك أسلحة الدمار الشامل، وهو أحد أركان محور الشر .ووجهت حديثها إلى مجلس الأمن في أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠٢م، قائلةً: "إن على مجلس الأمن أن يكون مستعداً للتحرك ضد العراق." كما وجهت تحذيراً إلى الأمم المتحدة ذكرت فيه أن عليها إذا كانت لا تريد أن تتحول إلى عصبة أمم أن تتصرف إزاء التهديدات التي يشكلها النظام العراقي، وإلا فإن واشنطن تحتفظ لنفسها بحق التصرف دفاعا عن مصالحها، مؤكدة على وجود علاقات بين العراق وتنظيم القاعدة (دياب، ٢٠٠٣: ٥-٧).

[3] من أهم الداعين لمهاجمة العراق والقضاء على نظامه وفرض السيطرة الأمريكية على أراضيه وثرواته النفطية، حيث قال: "العراق أخطر دولة عربية على المصالح الأمريكية" (سرور، ٢٠١٠: ٦١).

[4] من تيار المحافظين الجدد، أو اليمين المسيحي الجديد، ويعد وهو من أبرز أقطاب الفكر الاستراتيجي لليمين المحافظ، ويعد تشيني من أكثر الشخصيات المؤثرة في صنع القرار الأمريكي إلحاحا لشن الحرب على العراق مستنداً على تلفيقات وتقارير مزودة في هذا الشأن، حيث اتهم العراق في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠١م بالسعي لامتلاك أسلحة دمار شامل، ثم أعلن في آذار/مارس ٢٠٠١م، وأن بلاده ستحاول إعادة تفعيل التحالف الذي حارب بغداد عام ١٩٩١م، وأصر على ضرورة إعادة نظام العقوبات على العراق. وفي حزيران/يونيو ٢٠٠٢م صّرح قائلا: "بأن هناك خطراً متزايداً من أجل أن تحصل جماعات إرهابية على أسلحة للدمار الشامل يجري تطويرها في العراق، وان هذا يتطلب رداً حاسماً ومدروساً من الولايات المتحدة وحلفائها". (سرور، ٢٠١٠: ٥٩-٦٠).

[٥] يعد رامسفيلد من أشد المؤيدين داخل الإدارة الأمريكية بتوجيه ضربة عسكرية للعراق وتغيير نظامه تحت ذريعة امتلاكه أسلحة الدمار الشامل وعلاقته بالإرهاب الدولي وتنظيم القاعدة. وأعلن في شهادة أدلى بها أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس النواب الأمريكي قائلاً: "من دولة إرهابية تمثل تهديداً أعظم وأقرب على أمن شعبنا وعلى استقرار العالم من نظام صدام حسين في العراق، ومن أجل تمرير وتسويق توجهاته، قام رامسفيلد بإنشاء "مكتب المخططات الخاصة"، لتقديم معلومات استخبارية ملفقة ومزيفة بهدف خداع وتضليل الرأي العام وحشده لشن الحرب على العراق. (العزاوي، ٢٠٠٩).

[٦] يعد أصل فكرة غزو العراق باعتبار ذلك جزءاً محورياً من الإستراتيجية الإسرائيلية لاستمرار التفوق العسكري والاستراتيجي (سرور، ٢٠١٠: ٦١).

[٧] لعب دوراً في قرار الحرب، وإدارة الأزمة العراقية، واتخذ مواقف متشددة حيال العراق، وطالب بتغير نظام الحكم والإطاحة بالرئيس صدام حسين. (سرور، ٢٠١٠: ٦١).

[٨] الفولكانيون: أي البركانيون، نسبة إلى فولكانوس، وهو إله النار في المثيولوجيا الرومانية، أو الأساطير الدينية.

المصادر والمراجع

أولاً– المراجع العربية:

١. الكتب:

أبو خزام، إبراهيم، (١٩٩٦): العرب وتوازن القوي في القرن الحادي والعسرين: دراسة لواقع القوى العظمى، وانعكاسات هذا الواقع على الوطن العربي The Arabs and the Balance of Power in the Twenty-First Century: A Study of the Reality of the Great Powers, and the Repercussions of This Reality on the Arab World، طرابلس، مكتبة طرابلس العلمية العالمية.

حتي، نصيف يوسف، (١٩٨٥): النظرية في العلاقات الدولية theory in international relations، بيروت، دار الكتاب العربي.

سليم، محمد السيد، (٢٠٠٢): تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين The development of international politics in the nineteenth and twentieth centuries، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة

سويلم، حسام، (١٩٩٤): حرب الخليج حتمية لفرض النظام الدولي الجديد في الإستراتيجية السياسية والعسكرية لحرب الخليج الثانية The Gulf War is inevitable to impose the new international order in the political and military strategy of the second Gulf War، مؤسسة دار الكتاب الحديث للطباعة والترجمة والنشر، بيروت.

عبد الحي، وليد، (١٩٩٤): تحّول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية The transformation of postulates in theories of international relations، مؤسسة الشروق، الجزائر.

عبد الشافي، عصام، (٢٠٢٢): الحرب الروسية–الأوكرانية ومستقبل النظام الدولي The Russo-Ukrainian War and the Future of the International Order، الدوحة، مركز الجزيرة للأبحاث والدراسات.

عطار، صادق (٢٩٩٤.): المحافظون الجدد والحلم الإمبراطوري Neoconservatives and the imperial dream، دمشق، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية.

العقابي، عودة، (٢٠١٠): العلاقات الدولية (دراسة تحليلية في الأصول والنشأة والتاريخ والنظريات International relations (an analytical study of origins, origins, history and theories)، بغداد، دار الرواد للنشر والطباعة والتوزيع.

القبيسي، هادي، (٢٠٠٨): السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين، المحافظة الجديدة والواقعية American foreign policy between two schools, neoconservatism and realism، بيروت، الدار العربية للعلوم، ناشرون.

المشاط، عبد المنعم، وآخرون، (١٩٨٨): قضايا ومشكلات دولية معاصرة Contemporary international issues and problems، أبو ظبي، مؤسسة العين.

مقلد، إسماعيل صبري، (١٩٨٧): نظريات السياسة الدولية: دراسة تحليلية مقارنة International Politics Theories: A Comparative Analytical Study، الكويت، منشورات ذات السلاسل.

مقلد، إسماعيل صبري، (١٩٩١): العلاقات السياسة الدولية: دراسة في الأصول والنظريات International political relations: a study of assets and theories، القاهرة، المكتبة الأكاديمية.

مهنا، محمد، وفتحية، النبراوي، (١٩٨٥): أصول العلاقات السياسية الدولية The origins of international political relations، الإسكندرية، منشأة المعارف.

نعمة، كاظم هاشم، (١٩٧٩): العلاقات الدولية، الجزء الأول International Relations, Part One، بغداد، كلية السياسة والقانون.

النعيمي، أحمد، (٢٠١٠): السياسة الخارجية Foreign Policy ، عمان، دار زهران للنشر والتوزيع.

النعيمي، أحمد، (٢٠١٣): عملية صنع القرار في السياسة الخارجية: الولايات المتحدة الأمريكية نموذجاً The decision-making process in foreign policy: the United States of America as a model، مكة المكرمة، دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع.

- الكتب المُعربة:

براون، سيوم، (٢٠٠٤): وهم التحكم: القوة والسياسة الخارجية في القرن الحادي والعشرين The Illusion of Control: Power and Foreign Policy in the Twenty-First Century، ترجمة: فاضل جتكر، بيروت، دار الحوار الثقافي للنشر.

تشومسكي، نعوم، (٢٠٠٤): الدول المارقة: استخدام القوة في الشؤون العالمية Rogue States: The Use of Force in Global Affairs، رجمة: أسامة إسبر، مكتبة العبيكان، الرياض.

دان، تيم، وآخرون، (٢٠١٦): نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع International Relations Theories: Specialization and Diversity، ترجمة: ديما الخضرا، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

دورتي، جيمس، وبالستغراف، روبرت، (١٩٨٤): النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية Conflicting theories in international relations، ترجمة: وليد عبد الحي، عمان، كاظم للنشر والتوزيع.

دوغين، ألكسندر، (٢٠٠٤): أسس الجيوبولتيكا: مستقبل روسيا الجيوبولتيكي Foundations of Geopolitics: Russia's Geopolitical Future، ترجمة: عماد حاتم، بيروت، دار الكتب الجديدة المتحدة.

رايس، كونداليزا، (٢٠٠٨): إعادة التفكير في المصلحة القوميّة: واقعية أمريكيّة من أجل عالم جديد Rethinking the National Interest: American Realism for a New World، سلسلة دراسات عالمية، ٧٧، ترجمة: مركز الامارات لدراسة السياسات، أبو ظبي.

زكريا، فريد، (١٩٩٩): من الثروة إلى القوة: الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي From Wealth to Power: The Unique Roots of America's Global Role: ترجمة: رضا خليفة، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر.

كاربوفيتش، جوليان كوارب، (٢٠٢١): الواقعية في العلاقات الدولية Realism in international relations، ترجمة: ريم العمري، موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة حكمة.

لوزان، أريك، (١٩٩١): أسرار البيت الأبيض، عاصفة الصحراء Secrets of the White House, Desert Storm، ترجمة: منيرة أسمر، بيروت، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع.

ليتل، ريتشارد، (٢٠٠٩): توازن القوى في العلاقات الدولية (الاستعارات والأساطير والوقائع) The balance of power in international relations (metaphors, myths, and realities)، ترجمة: هاني تبري، بيروت، دار الكتاب العربي.

ميرشايمر، جون، (٢٠٢٠): فشل النظام الليبرالي في النظام الدولي The failure of the liberal order in the international system، ترجمة: عبد الرحمن عادل، القاهرة، أركان للدراسات والأبحاث والنشر.

٢. الرسائل الجامعية:

بهولي، عبير، (٢٠١٤): النظرية الواقعية البنيوية في الدراسات الأمنية: دراسة لحالة الغزو الأمريكي للعراق عام Structural realism in security studies: A case study of the US invasion of Iraq in 2003 ٢٠٠٣، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر ٣.

حكيمي، توفيق، (٢٠٠٧): الحوار النيو واقعي- النيو ليبرالي حول مضامين الصعود الصيني: دراسة الرؤى المتضاربة حول دور الصين المستقبلي في النظام الدولي-The Neorealist Neoliberal Dialogue on the Implications of the Chinese Rise: Examining Conflicting Visions of China's Future Role in the International System، الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، الجزائر، جامعة باتنة.

رياض، حمدوش، (٢٠١٢): تأثير السياسة الخارجية الأمريكية على عملية صنع القرار في الإتحاد الأوروبي بعد أحداث ١١ سبتمبر The impact of American foreign policy on the decision-making process in the European Union after the events of September 11, 2001 ٢٠٠١، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

العكيلي، هبة، (٢٠٢١): تأثير النظريّة الواقعيّة في السياسة الخارجيّة الأمريكيّة دراسة حالة: السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الأزمة السوريّة (٢٠١١-٢٠٢١) The Impact of Realist Theory on American Foreign Policy Case Study: American Foreign Policy towards the Syrian Crisis (٢٠١١-٢٠٢١)، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، عمان.

٣. المجلات والدوريات:

أحمد، وليد، (٢٠١٩): الواقع الأمني الأوروبي بعد الحرب الباردة European security reality after the Cold War، مجلة دراسات إقليمية، العدد ٤٢، ٢٠١٩، ص ١٩٧-٢١٥.

أحمد، وليد، (٢٠٢٠): المجال الحيوي الروسي في ضوء توسع حلف شمال الاطلسي بعد الحرب الباردة The Russian vital field in light of the expansion of NATO after the Cold War، مجلة دراسات إقليمية، العدد ٤٥، ص ١٤٩-١٨٠.

إياد الهاشمي، إياد، ومحمود، مجول، (٢٠١٩): أثر العامل الديني في سياسة المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية (٢٠٠١-٢٠٠٣) والحرب الأمريكية على العراق The impact of the religious factor on neo-conservative politics in the United States

of America (2001-2003) and the American war on Iraq، مجلة دراسات إقليمية، العدد ٤١، ص٤٥-٩٦.

ثابت، أحمد، (٢٠٠٨): مكانة الولايات المتحدة في النظام الدولي، دور القوة في التوازن الدولي الجديد The position of the United States in the international system, the role of power in the new international balance، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧١، ص ٨-٢١.

الجرباوي، علي، جبش، لورد، (٢٠١٩): النظرية الواقعية في مواجهة أحادية القطبية الدولية Realism in the face of international unipolarity، مجلة سياسات عربية، العدد ٣٨، ص ٢٨-٤٩.

جندلي، رابح عبد الناصر، (٢٠١٧): الدراسات المستقبلية: تأصيل نظري تاريخي مفاهيمي ومنهجي Future studies: theoretical, historical, conceptual and methodological rooting، مجلة العلوم السياسية والقانون، العدد ١، ص ٢٣-٤٧.

دياب، محمد، (٢٠٠٣): أولويات السياسة الخارجية الأمريكية في عهد بوش Priorities of US foreign policy in the Bush era، الرياض السعودية، العدد ١٣، ص ٥-٧.

رابح، خليفي، (٢٠١٧): الواقعية في العلاقات الدولية (دراسة نظرية) Realism in international relations (theoretical study)، مجلة الفكر القانوني والسياسي، العدد ١، ص ٢٢-٢٩.

سليم، محمد السيد، (٢٠٠٥): تطور الإطار النظري لعلم السياسة الدولية The development of the theoretical framework for the science of international politics، مجلة السياسة الدولية، المجلد ٤٠، العدد ١٦١، ص ٤٦-٥١.

صارم، سمير، (٢٠٠٣): النفط العربي في الإستراتيجية الأمريكية Arab oil in the American strategy، مجلة الفكر السياسي، المجلد ٦، العدد ١٨، ص١-٢٠.

عبد الناصر سرور، عبد الناصر، (٢٠١٠): دوافع وتداعيات القرار الاستراتيجي الأمريكي باحتلال العراق عسكرياً ٢٠٠٣ The motives and repercussions of the American strategic decision to occupy Iraq militarily in 2003، غزة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد ١٤، العدد ١، ص ٥٣-٧٨.

القحطاني، علي حسين، (٢٠١١): النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية: دراسة تحليلية نقدية للتجربة التنظيرية Realistic theory and its development in international

relations: a critical analytical study of the theoretical experience، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، المجلد ٤٨، ص ٣٠٩-٣٦٠.

نجم، مشعان، (٢٠١٨): توازن القوى الدولي وتوازن القوى الإقليمي: دراسة نظرية تحليلية The International Balance of Power and the Regional Balance of Power: An Analytical Theoretical Study، مجلة قضايا سياسية، العدد ٥١، ص ١٤٩-١٧٢.

النعيمي، أنور إسماعيل، (٢٠٢١): مناهج البحث العلمي (مناهج دراسة العلاقات الدولية (أنموذجاً) Scientific Research Methods (International Relations Study Methods (Model)، مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللّغات، المجلد ٢، العدد٦، جامعة بغداد، ص١-٢٨.

وهبان، أحمد، (٢٠١٦): النظرية الواقعية وتحليل السياسة الدولية من مورجانثو إلى ميرشايمر Realist theory and analysis of international politics from Morgenthau to Mearsheimer، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، المجلد ١، العدد ٢، ص٧-٦٨.

٤. الصحف:

أبو الحسن، جمال، (٢٠٢٢): النظرة الواقعية إلى الحرب الأوكرانية Realistic view of the Ukrainian war، صحيفة المصري اليوم، العدد 6502، ص ١٠.

أحمد، يوسف أحمد، (٢٠٢٢): المدرسة الواقعية وحرب أوكرانيا The Realist School and the Ukraine War، صحيفة الاتحاد الإماراتية، العدد ١٧١٤٣، ص١٩.

جزيلان، هلال، (٢٠٢٢): الواقعية والليبرالية.. الحرب الروسية الأوكرانية Realism and liberalism.. The Russian-Ukrainian war، صحيفة عرب جورنال.

مواقع الانترنت:

العزاوي، مهند، (٢٠٠٩): دراسة أبعاد الصراع العراقي الأمريكي ونظرية الجيش الأمريكي Studying the dimensions of the Iraqi-American conflict and the theory of the American army، أنظر:

https://groups.google.com/g/sudan-4-all/c/5mpMVz0ND1s

Second - foreign references:

books:

Dougherty, James & Pfaltzgraff, Robert, (1981): Contending Theories of International Relations, USA, Harper & Row Publishers, Inc.

Guzzin, Stefano, (2017): Realist Theories and Practice, Danish Institute for International Studies (DIIS), Copenhagen, Denmark
Hobbes, Thomas, (1994): Leviathan, Oxford: Basil Blackwell.
Morgenthau, Hans, (1967): Politics Among Nations, USA, New York: Knopf, Fourth edition.
Rittberger, Volker & Wagner, Wolfgang, (2001): German Foreign Policy Since Unification: Theories Meet Reality, Manchester, Manchester University press.
Viotti, Paul R., Kauppi, Mark V. (eds), (1997): International Relations Theory: Realism, Pluralism, Globalism and Beyond, USA, Boston: Allyn and Bacon.
Scientific journals:
Duncan, Bell, (2017): Political Realism and International Relations, Journal: Apollo - University of Cambridge Repository.
Griffiths, Martin, (1992): "Realism, Idealism and International Politics", new york: Routledge, pp 42-53.
Kahler, Miles, (1998): Rationality in International Relations, The IO Foundation and the Massachusetts Institute of Technology, nternational Organization 52, 4, PP 919-941.
Rieker, Perniile, (2005): Power, principles and procedures: reinterpreting French foreign policy towards the USA (2001–2003), International Politics, 42 (2), pp 264–280.
Internet:
Walt, Stephen, (2022): An International Relations Theory Guide to the War in Ukraine, look at the link:
https://foreignpolicy.com/2022/03/08/an-international-relations-theory-guide-to-ukraines-war/